Institute for Palestine Studies
The Library
Discarded

عام حديد.. وسابق حافل بالمفارقات الدولية والعربية
نويل للمحارب ... وأمثلة أخرى!

فتح

المجلة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) الانتفاضة

العدد 604 كانون كانون الثاني 2010

جامعة بيرزيت
المكتبة
19 -04- 2012

الذكرى الخامسة والأربعون لانطلاقة فتح انطلاقة الثورة الفلسطينية

لا خيار إلا المقاومة
لا نهج إلا التحرير
لا هدف إلا العودة

Digitized by Birzeit University Library

جامعة بيرزيت
المكتبة
19-04-2012
BIRZEIT UNIVERSITY
Library

موقف فتح

انتهى العام ٢٠٠٩ ... ومع نهايته مرت علينا الذكرى الأولى لمحرقة غزة، أو الحرب العدوانية الإبادية التي شنها العدو الصهيوني على القطاع الصامد، المحرقة التي واجهها شعبنا الباسل المقاوم هناك وقواه المناضلة ببطولة إسطورية حولت الوجه الآخر للمحرقة الدموية إلى ملحمة صمود واستبسال فوتت على جبهة أعدائه فرصة تحقيق هدفهم من حربهم الهمجية تلك. ما بين الدم والركام رفع أهلنا شارات النصر وتعالى رأس غزة الصامدة شموخاً وعناداً وإصراراً على الحفاظ على البندقية المقاتلة وهدف التحرير والعودة ورفضت الخنوع والاستسلام والمساومة على حقنا التاريخي غير القابل للتصرف في التحرير والعودة لكامل تراب فلسطين التاريخية من النهر إلى البحر.

لقد شاركت جبهة من الأعداء في هذا العدوان وكانت قبله ومن بعد لا زالت تحاصر القطاع المحرر... جبهة واجهتها العدو الصهيوني ومن خلفه ما يسمى «المجتمع الدولي» بمعنى الغرب الاستعماري كله وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية عدوة الشعوب في هذه المرحلة التاريخية التي يعيشها العالم، ويأتي في ذيل هؤلاء ما يسميهم هذا الغرب «عرب الاعتدال» وتسميهم أمتنا عرب الهزيمة، وشعبنا عرب التواطؤ، ومعهم فلسطينيو الزمرة الأوسلوية المفرطة، من رافعي شعار الحياة مفاوضات، وبانتصار إرادة الصمود في غزة، بمعنى إفشال هدف تركيعها والقضاء على روح المقاومة فيها، خسرت هذه الجبهة المتآمرة الحرب، رغم ما ألحقته حربها الوحشية من جراح لا زالت غزة الأبية تعانيها. وعليه فيخطئ من يظن أن الحرب العدوانية على غزة كانت قبل عام لأنها تواصلت عبر الحصار الإجرامي المضروب على غزة، وأسواره الالكترونية والإسمنتية، براً وبحراً وجو، ويضاف له اليوم سورٌ فولاذيٌ عربي الوجه واللسان لكنه أمريكي التمويل والمصدر وصهيوني الاستخدام والاستثمار على الحدود المصرية الفلسطينية. وعندما يُكملون سورهم الفولاذي الجديد فإن غزة قد تشهد حرباً عدوانية أخرى تظل واردة ويلوح بها وزير الحرب الصهيوني.

إن هذه الذكرى أو هذه الحرب المستمرة تقتضي من قوى الأمة الحية وقلاع الممانعة، وقوى المقاومة العربية والفلسطينية الاستعداد وحشد الطاقات لأن طبيعة الصراع وأطراف جبهة الأعداء لم يتركوا من خيار للشعب الفلسطيني والأمة العربية إلا المواجهة... وغزة عندما صمدت وقاومت وأفشلت العدوان كانت لا تدافع عن غزة وإنما عن إرادة شعب وكرامة أمة، وواجهتهم وهي المستفرد بها نيابة عن أمتها.

ومن هنا فإن أبسط حقوقها على أمتنا هو التحرك لكسر الحصار الإجرامي الذي هو أفظع من حيث النتائج من تلك المحرقة التي حولتها إلى ملحمة والتي إن مر ذكرها فهي لا زالت مستمرة عبر حصار تتوالى أسواره وتشدد وتطور من حولها. ومن أبسط حقوقها على قوى المقاومة وفصائلها في شعبنا المكافح الصامد إن التسارع إلى كلمة سواء تؤسس لمرجعية وطنية مؤتمنة على خط التحرير ونهج المقاومة بكافة أوجهها، تصون القضية وتحافظ على الثوابت التي من أجلها انطلقت رصاصة الثورة الفلسطينية المعاصرة التي تمر ذكراها الخامسة والأربعين، وتكون خطوة باتجاه استعادة منظمة التحرير الفلسطينية، وإعادة الاعتبار لميثاقها الوطني وإعادة بنائها على أسس ديمقراطية وبمشاركة كافة ألوان الطيف الفلسطيني المناضل... وعندها فقط نعطي الذكرى حقها.

غزة المحاصرة...
غزة المقاومة
عام على المحرقة...
عام على ملحمة
الصمود والمواجهة.

الخبر في صورة..

فتح
المجلة المركزية
لحركة التحرير الوطني الفلسطيني
(فتح)
www.fatehmagazine.com
E-Mail : aljlil@tarassul.sy
fmint65@yahoo.com
fmint65@hotmail.com

رئيس التحرير: مأمون كيوان
مدير التحرير : علي محمد
المسؤول الإداري : محمد الجرادات
الإخراج الفني : صلاح الحسني

مكتب
دمشق - مهاجرين - روضة - جادة التوخي
هاتف (3313797) (3326134)
ص.ب:5621

الاشتراكات السنوية :
المؤسسات و الدوائر الرسمية : (3000) ل.س
الأفراد : (1000) ل.س أو ما يعادلها .

ثمن النسخة :
سورية : 30 ل.س . لبنان : 1500 ل.ل . الأردن : 500 فلس . الإمارات العربية المتحدة 10 دراهم . الجمهورية اليمنية : 25 ريالاً . الكويت : دينار واحد . قطر : 5 ريالات . جمهورية مصر العربية : جنيه واحد . الجماهيرية الليبية : دينار واحد . السودان : 5 جنيهات . تونس : نصف دينار . الجزائر : 10 دنانير . المغرب : 10 دراهم . البلدان الأجنبية : 5 دولارات .

Digitized by Birzeit University Library

رسالة اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني / فتح – الانتفاضة بمناسبة الذكرى الخامسة والأربعين ..لانطلاق رصاصة ثوار العاصفة .. انطلاقة فتح انطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة

فكر الثورة والمقاومة وخط الكفاح المسلح بوصلة التحرير ..

مقاومة العدو الصهيوني وسياسته التهويدية والاستيطانية على رأس مهام الوطنيين ..

وبناء المرجعية الوطنية الفلسطينية خطوة على طريق إعادة بناء مؤسسات م.ت.ف.

بمناسبة حلول الذكرى الخامسة والأربعين لانطلاقة حركة التحرير الوطني الفلسطيني / فتح – الانتفاضة، انطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة، وجهت اللجنة المركزية للحركة رسالتها السنوية إلى أبناء الحركة في جميع مواقعهم ، والى كافة المناضلين من أبناء الشعب الفلسطيني وقواه وفصائله الوطنية المقاومة في سبيل تحرير فلسطين وتفكيك الكيان الصهيوني المغتصب للأرض والحقوق. وحددت الرسالة مهام عام جديد من المقاومة، ونصت على التالي:

يا جماهير شعبنا الفلسطيني المناضل
يا جماهير أمتنا العربية المكافحة
يا أبناء فتح ... يا ثوار العاصفة البواسل
أيها الوطنيون المقاومون رفاق الدرب في فصائل المقاومة الفلسطينية

تغتنم اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح الانتفاضة، مناسبة حلول الذكرى الخامسة والأربعين لانطلاقة الحركة، انطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة، على أيدي أبطال فتح وثوار العاصفة البواسل في الأول من كانون الثاني عام ١٩٦٥م، بهدف تحرير فلسطين، كل فلسطين، وبشعارها الخالد – ثورة حتى النصر –، لتتوجه لكم جميعاً بأطيب تحياتها وتبريكاتها بحلول العام الهجري الجديد الذي لا زلنا في رحاب شهره الأول المحرم ، وحلول العام الميلادي الجديد، ولنرجو لشعبنا وأمتنا الخير والتقدم والمنعة.

وهو عام كفاحي جديد يطل على شعبنا الفلسطيني المناضل، يضاف إلى أعوام الثورة والنضال على مدى ٤٥ عاماً مضت، عام يتجدد فيه الإصرار على التمسك بالحقوق، ويتجدد فيه العهد على مواصلة الكفاح الوطني وخط ونهج المقاومة والكفاح المسلح وحرب الشعب الطويلة الأمد.

عام جديد يرتب على شعبنا المناضل داخل الوطن المحتل وفي أماكن تواجده في ساحات الشتات كافةً، وعلى كل القوى الوطنية الفلسطينية المقاومة، مهاماً وطنية ونضالاً شاقاً، وتضحيات لم يتوانى هذه الشعب العظيم عن تقديمها، ولن تقعده عنها كل المخاطر والمصاعب والتحديات المتزايدة التي يواجها.

إن وقوفنا أمام هذه الذكرى وإحيائنا لها، بقدر ما هو اعتزاز بالماضي، إلا أنه التفات نحو المستقبل والإعداد له.

اعتزاز بالماضي بما يعنيه من بداية حقبة وطنية نضالية في تاريخ الشعب الفلسطيني، شهدت انطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة، وبعث الشخصية الوطنية الفلسطينية، وأرست الأسس والآليات من أجل أن ينظم الشعب الفلسطيني صفوفه، وأن يبني هيئاته الوطنية، وأن يؤطر طاقاته الفاعلة ويجسدها في معركة التحرير، حقبة إعادة الاعتبار للقضية التي دخلت دهاليز النسيان، وللحقوق التي جرى التآمر عليها وتغييبها، وللهوية الوطنية الفلسطينية التي جرى العمل على طمسها، وهي بالتأكيد بداية مرحلة أسست لخط المقاومة والكفاح المسلح وحرب الشعب، ودللت منذ بدايتها على جدواها وصحتها كخط ونهج من ناحية، وعلى مدى الطاقة والإرادة والصلابة التي يختزنها الشعب الفلسطيني من ناحية ثانية، وعلى التوق لامتلاك زمام المبادرة في أن يكون رأس جسر في معركة التحرير التي هي معركة الأمة جمعاء في الوقت نفسه.

خمسة وأربعون عاماً انقضت منذ أن انطلقت الثورة الفلسطينية المعاصرة، شهد فيها شعبنا وأمتنا العديد من الإنجازات الوطنية الكبيرة، إنجازات هي بمثابة انتصارات وطنية تتراكم على طريق النصر الكبير القادم، إنجازات تحققت على مختلف الصعد والمستويات، فكانت خير رد على أصحاب نظرية (جربنا المقاومة والكفاح المسلح) ولم يتحقق شيء وعلينا أن نجرب طريقاً آخر، ففكر الثورة والمقاومة وخط الكفاح المسلح بمفهومهم ونهجهم ولى وانتهى، فسلكوا طريق المفاوضات واللهاث وراء الحلول، فدمروا الإنجازات الوطنية التي تحققت بفعل التضحيات، ووضعوا القضية من جديد في بازار التسويات المذلة، وهدروا الحقوق الوطنية، وأدخلوا مصير الشعب الفلسطيني والقضية برمتها في نفق مظلم.

يا جماهير شعبنا الفلسطيني المناضل
يا جماهير أمتنا العربية المكافحة
يا أبناء فتح ... يا ثوار العاصفة البواسل

إن اعتزازنا بهذه المناسبة الوطنية، ذكرى الانطلاقة، لما دللت عليه من معان وقيم، وما أرسته من مبادئ وثوابت وطنية، ولما تأسس عليها من إنجازات وطنية، يحفزنا على الاستفادة من الدروس والعبر التي حملتها

هذه المرحلة الوطنية، ويعزز من إصرارنا على مواصلة نضالنا الوطني، ويحملنا في الوقت نفسه أمانة ومسؤولية النضال الدؤوب لحماية الثورة والمقاومة التي يجري استهدافها، والحقوق التي يجري الاستهتار بها والانتقاص منها، والتصدي لمؤامرات ومخططات العدو الصهيوني في التهويد والاستيطان، وإفشال أهدافه.

تطل علينا هذه المناسبة وعلى شعبنا وسط مؤامرات وتحديات خطيرة، مما يتوجب علينا وعلى كل القوى الوطنية الفلسطينية الوقوف أمامها بجدية ومسؤولية، ووضع الخطط والسياسات والآليات بما يتلائم مع خطورتها، فالعدو الصهيوني الغاشم يواصل سياسة ونهج التهويد والاستيطان، أمام سمع العالم وبصره، وسياسة حصر شعبنا في معازل منفصلة بعضها عن بعض محاطة بالمستوطنين والمستوطنات، يواصل سياسة الإخضاع والتطويع وفرض الشروط والإملاءات، تارةً حول ضرورة الاعتراف بكيانهم الغاصب(كدولة يهودية) من اجل إسدال الستار نهائياً عن حق العودة، وتهديد وجود وبقاء أهلنا الصامدين في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨م، ووضعهم على سكة التهجير والترحيل، ويواصل سياسة التهويد في مدينة القدس وترحيل سكانها، واقتسام المسجد الأقصى، كخطوة على طريق هدمه وبناء هيكلهم المزعوم، ويمعن في تقاسم سياسة فرض الحصار على قطاع غزة مع طرف عربي شقيق يرتبط معه بمعاهدة صلح وتطبيع وتعاون، ويخضع في الوقت نفسه سلطة ترتبط معه باتفاقية أوسلو، فارضاً شروطه وقوانينه، سلطة تتبجح باعتقال المقاومين، وتجريد الشعب الفلسطيني من سلاحه، وتضع مهمة بناء وإعداد الأجهزة الأمنية لسلطتهم في عهدته، وعهدة الجنرال الأمريكي دايتون، لتكون هذه الأجهزة في خدمة الاحتلال.

يا جماهير شعبنا الفلسطيني المناضل
يا جماهير أمتنا العربية المكافحة
يا أبناء فتح ... يا ثوار العاصفة البواسل

إن هذا المؤامرات والتحديات، وهذا الوضع الخطير، الذي تمر به قضية فلسطين عموماً، والنضال الفلسطيني خصوصاً، تتطلب جملةً من المهام الوطنية، ينبغي تحمل المسؤوليات اتجاهها، وأبرز هذه المهام يتجلى في ما يلي:-

١- مواصلة وتصعيد المقاومة ضد العدو الصهيوني، فلا خيار أمام شعبنا وقواه الوطنية المناضلة والمجاهدة غير هذا الخيار لصون القضية والحقوق، ولإفشال أهداف العدو وصولاً إلى التحرير الشامل.

لقد أثبت هذا الخط وهذا النهج صحته ودقته وجدواه منذ انطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة وفي كل المراحل التي أعقبتها، أثبت جدواه في لبنان الشقيق رغم اختلاف الظروف والمعطيات، وأعطى ثماره في العراق الشقيق.

وهو خط ونهج وفعل كفاحي أسقط العديد من النظريات العسكرية والأمنية الصهيونية، بل وحطم أسطورة الجيش الذي لا يقهر، ورغم الاختلال الفادح في موازين القوى بين أمكانية وقوة العدو، والشعب الفلسطيني الذي يقاتل بلحمه الحي، إلا أن مقاومة شعبنا ومعاركه وانتفاضاته، شكلت أزمات ومآزق للعدو الصهيوني، سيظل يتخبط بهما، لذلك ظل جل همه العمل على إيقاف وإطفاء المقاومة، وإذا كان العدو الصهيوني بفعل تواطئ سلطة الحكم الإداري الذاتي والأجهزة الأمنية، وبفعل تنصل وتواطؤ بعض أطراف النظام الرسمي العربي، قد عمدوا إلى ملاحقة ومطاردة واعتقال المناضلين، إلا أن هذا لا يعني توقف هذا الخط وهذا المسار أو التغلب عليه وهزيمته، بل يحفزنا على السعي الدؤوب لامتلاك كل أسباب القوة، واشتقاق كل أشكال وأساليب المقاومة الذي أبدع شعبنا في استنباطها، والوصول إلى مواقع العدو في كل مكان في فلسطين المحتلة.

٢- العمل الجاد من اجل بناء المرجعية الوطنية الفلسطينية كخطوة على طريق إعادة بناء مؤسسات م.ت.ف، إن غياب هذه المرجعية، يعني في ما يعني الإبقاء على حالة الفراغ القيادي الوطني، والبقاء في حالة المعارضة، لقيادة وسلطة ورموز، تمتلك اليوم دعماً ومساندةً واعترافاً بها كممثل للشعب الفلسطيني الأمر الذي يلحق أفدح الأضرار بالقضية الوطنية.

إن هذه المهمة الوطنية، تستحق كل اهتمام، وبحث ودراسة وحوار جاد، فهي ليست مجرد شكل تنظيمي فوقي أو مؤسسة سياسية جديدة، بقدر ما هي مقدمة وأساس موضوعي لبلورة وصياغة المشروع الوطني الفلسطيني الذي أصبحت ساحتنا الفلسطينية ونضالنا الوطني في أمس الحاجة إليه، مشروع وطني يقوم ويستند على الميثاق الوطني الفلسطيني، وبرنامج التحرير والعودة، تتحشد على أساسه كل مكونات ساحتنا الوطنية، وكل طاقات شعبنا، من فصائل وقوى وأحزاب وهيئات وطنية، وشخصيات وفعاليات وطنية في الداخل والخارج، ليتكامل الجهد، ويتوحد الهدف، وتتعزز مسيرة النضال والمقاومة، وبهذا يمكن إعادة بناء الوحدة الفلسطينية، المطلب الوطني المنشود، والضرورة الوطنية في مرحلة التحرر الوطني، وحدة على أرضية الميثاق والمشروع الوطني وخط المقاومة، وهذا هدف من الصعب أن يتحقق مرة واحدة، أو بآلية الحوار فقط رغم أهميته وضرورته، بل يتحقق في مجرى الصراع، وعلى أرضية الصراع، وفي أتون وخضم النضال الوطني.

إننا ندعو لصوغ إستراتيجية وطنية جديدة وبرنامج يرتكز على هدف التحرير والعودة، فعلى هذا الأساس انطلقت الثورة وتشكلت الفصائل، وعلى هذا الأساس وفي سبيل تحقيقه كانت تضحيات الشهداء والأسرى والمعتقلين والجرحى والمعاقين، وكل ما هو بذل وعطاء وصمود لشعبنا في هذه المسيرة المجيدة.

٣- العمل على رفع الحصار الجائر عن قطاع غزة الباسل، ومطالبة الدول العربية جمعاء للوقوف بمسؤولية أمام هذا الواقع المأساوي الذي يعيشه مليون ونصف مليون فلسطيني صامدين مرابطين في قطاع الصمود، وبالتالي عدم ربط هذه المسألة بأي قضية أخرى، لا بقضية الحوار، ولا بموضوعة المصالحة، ولا بالتوقيع على هذه الوثيقة أو تلك، لأن مصير مئات الألوف من أبناء شعبنا لا يمكن أن يكون رهناً بشروط وإملاءات.

إننا إذا نوجه التحية في هذا اليوم لأهلنا البواسل في قطاع غزة على ثباتهم وشجاعتهم وتضحياتهم نطالب بأوسع حملة عربية وعالمية تدين الحصار وتعمل على إنهائه، وعلى وقف إقامة الجدار الفولاذي على حدود القطاع الذي يهدف إلى المزيد من التضييق على سكانه وإطباق الحصار عليهم وتجريدهم من كل مكونات الصمود والعيش الكريم.

Digitized by Birzeit University Library

يا أبناء فتح ... يا ثوار العاصفة البواسل

٤٥ عاماً مضت منذ أن أشعلت حركة فتح وقواتها العاصفة مشعل الثورة بدماء شهيدها الأول أحمد موسى. لقد سقط من سقط عن درب الثورة والنضال، وانحرف من انحرف عن أهداف نضالنا الوطني، وتآمر من تآمر إلا أن الثورة تواصلت، وانتفاضات شعبنا لم تتوقف، والخط الوطني بقي عميقاً وأصيلاً، وبقي المناضلون من أبناء فتح أقوى من محاولات التطويع والإخضاع، تمسكوا بحركتهم وبمبادئها وأهدافها وتراثها النضالي، وكانت الانتفاضة الثورية داخل الحركة في التاسع من آيار /١٩٨٣، لحماية الحركة والثورة والقضية، وها أنتم تستقبلون اليوم عاماً جديداً من أعوام الثورة والنضال وأنتم أكثر إصراراً على المضي على طريق الثورة والكفاح، وأشد عزيمة على مواجهة التحديات والمؤامرات، مستندين إلى إرادة شعبكم، وقوى أمتكم الحية، واثقين من أن النصر قادم مهما طال الزمن ومهما بلغت الصعوبات.

ليكن هذا العام من أعوام الثورة والنضال عام المزيد من الصمود والثبات والمقاومة.

ليكن هذا العام، عام إفشال كل المشاريع والحلول التصفوية.

ليكن هذا العام، عام رفع الحصار عن قطاع غزة الصامد.

ليكن هذا العام، عام تتحقق فيه الوحدة الوطنية على أرضية المقاومة.

تحيةً لكم يا جماهير شعبنا الفلسطيني المناضل

تحيةً لكل مواقع الصمود والمقاومة والممانعة في امتنا، تحيةً لسورية العربية الشقيقة، تحيةً لحزب الله، للمقاومة في العراق الشقيق، تحيةً للجمهورية الإسلامية الإيرانية، ولكل الأحرار والشرفاء في هذه الأمة.

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار

والحرية لأسرانا البواسل

والعهد على استمرار الثورة حتى التحرير

وثورة حتى النصر

اللجنة المركزية لحركة / فتح - الانتفاضة

٢٠١٠/١/١م

حول بيان الاتحاد الأوروبي بشأن القدس:

فتح في تصريح لناطق إعلامي:

لا جديد فيه وينسجم مع ذات المواقف المنافقة التي تكمل المواقف الأمريكية الصهيونية وتدعى التمايز عنها

صرح مصدر إعلامي مسؤول في حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح/ الانتفاضة بما يلي:

«رحبت سلطة رام الله المحتلة ببيان وزراء خارجية الاتحاد الأوروبي بعد تعديل المقترح السويدي، واعتبرته انتصاراً لما دعته «الشرعية والقانون الدولي»، في حين أن خارجية الكيان الصهيوني عبرت عن رضاها لتعديله وأسفها لصدوره رغم أنها تعتبره «لا يتضمن جديداً».

إننا نرى في البيان أنه إنما صيغ بأسلوب ينسجم كالعادة مع الدور الأوروبي المنافق الذي يحاول الإيهام بالتمايز، لكنه يظل مكملاً دائماً للمواقف الأمريكية المتطابقة مع المخططات التصفوية الصهيونية، وإن مضمونه في المحصلة لا يخرج عن سياق محولة إنقاذية لما تدعى «المسيرة السلمية»، التي دق نتنياهو آخر المسامير الصهيونية في نعشها، وصادق على دفنها أوباما، وبه تم الرمي للأوسلويين الفلسطينيين بعظمة فارغة ليتلقفوها وليبرروا باجترارها مواصلة استجدائهم للحلول التصفوية.

إن ما عكسه البيان الأوروبي فعلاً هو كما وصفه الصهاينة أي لا جديد فيه، سواء في تكرر الموقف التقليدي الأوروبي المعلن حول حدود عام ١٩٦٧وعدم الاعتراف بضم القدس، والذي لا يختلف في الجوهر كثيراً عن المواقف الأمريكية النظرية المعتادة، وكل هذا لا يعني شيئاً بعد أن اقترن بالمطالبة بالإسراع في استكمال المفاوضات العبثية، والتأكيد على دعم مما دعوه الجهود الأمريكية لاستئنافها للوصول إلى تسوية «متفق عليها». بمعنى أنها في ظل موازين القوى الراهنة لن تكون سوى ما يفرضه الصهاينة على زمرة أوسلويي رام الله المحتلة، تلك المستجيبة عادة لما يمليه العدو عليها، والمستمرة على ذات النهج التنازلي الذي أوصل القضية والساحة الوطنية إلى ما وصلت إليه.

٢٠٠٩/١٢/٩

الأخ أبو موسى في الذكرى الخامسة والأربعين لانطلاقة فتح انطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة:

وقالت إن الأوطان تعاد بالتضحيات وبذل الدماء وليس بالمفاوضات والحوارات والمؤتمرات.

الثورة اندلعت عام ١٩٦٥ لتحرير كامل فلسطين وليس لإيقاف الاستيطان، ومواجهة زمرة أوسلو ومخططات التصفية لا تكون إلا بإيجاد المرجعية الوطنية المؤتمنة على القضية... مرجعية لها برنامج واضح يستند إلى الميثاق الوطني... مرجعية تقول فلسطين من النهر إلى البحر.

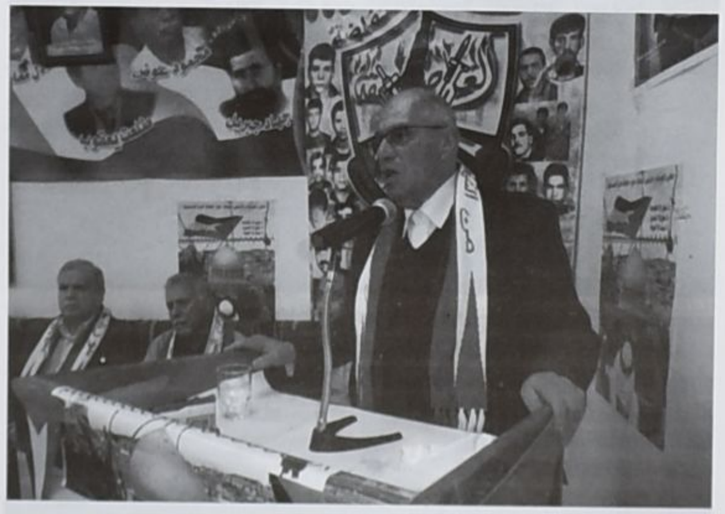

بمناسبة الذكرى الخامسة والأربعين، لانطلاقة فتح انطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة أحيت حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح/الانتفاضة حفل إيقاد شعلة الثورة، وذلك مساء يوم الخميس ٢٠٠٩/١٢/٣١ في مركز الشهيد ماجد أبو شرار للثقافة بمخيم اليرموك بمشاركة جماهير شعبنا الفلسطيني والسوري، وفعالياته الشعبية والوطنية.

وفي مقدمتهم الأخ أبو موسى أمين سر اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح الانتفاضة والأخ أبو حازم عضو اللجنة المركزية أمين السر المساعد للحركة والأخ عبد اللطيف مهنا عضو اللجنة المركزية مفوض الإعلام والدراسات، والأخوة أعضاء المجلس الثوري ولفيف من كوادر الحركة ومناضليها ومقاتليها.

وشارك في المناسبة لفيف من قادة وكوادر فصائل المقاومة الفلسطينية من بينهم الرفيق خالد عبد المجيد الأمين العام لجبهة النضال الشعبي الفلسطيني وعربي عواد الأمين العام للحزب الشيوعي الفلسطيني واللواء محمد طارق الخضراء رئيس هيئة أركان جيش التحرير الفلسطيني وعدد من الأخوة والرفاق أعضاء المكاتب السياسية لفصائل المقاومة، وممثلي أحزاب الجبهة الوطنية التقدمية في الشقيقة سورية، وأعضاء لجنة المتابعة للمؤتمر الوطني الفلسطيني في سورية، وممثلي لجان العودة والمنظمات الشعبية والنقابية الفلسطينية، وشخصيات وطنية وثقافية فلسطينية من بينها الكاتب والمفكر الفلسطيني رشاد أبو شاور.

وعلى إيقاع أناشيد الثورة الفلسطينية وأهازيج الأشبال والزهرات وعزف النشيدين الوطنيين السوري والفلسطيني، وبعد الوقوف دقيقة صمت على أرواح شهداء فلسطين والأمة العربية، ألقى الأخ أبو موسى أمين سر اللجنة المركزية لحركة التحرير فتح الانتفاضة كلمة فتح في ذكرى انطلاقتها المجيدة، تلى ذلك إيقاد الشعلة.

وكان الأخ أبو موسى قد افتتح الاحتفال بالمناسبة ملقياً الكلمة التالي نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

أيتها الأخوات.. أيها الأخوة.. أيها الرفاق أيتها الرفيقات

أحييكم أجمل تحية في هذه الليلة المباركة، هذه الليلة العظيمة التي دخلت التاريخ من أوسع أبوابه حيث تحركت فيها الكوكبة الأولى من الفدائيين الفلسطينيين، من قوات العاصفة الجناح العسكري لحركة التحرير

Digitized by Birzeit University Library

فتح الانتفاضة شعرت مبكراً بخطورة النهج المنحرف.. انتفضت لتصحح مسار ثورة.. وإن لم تستطع حينها فعلى الأقل كان لها شرف تعليق الجرس

الوطني الفلسطيني فتح باتجاه نفق عيلبون، معلنة بدء اندلاع الثورة الفلسطينية المعاصرة، وقرار الشعب الفلسطيني تحمل مسؤولياته التاريخية في استعادة وطنه.

لقد دشن أبطال العاصفة في تلك الليلة مرحلة جديدة في تاريخ الشعب الفلسطيني، عندما حملت فتح البندقية وتقدمت الصفوف وبذلت الدم مهراً من أجل فلسطين، لأن الأوطان، كما أمنت فتح المنطلقات والمبادئ، لا تعاد بالمفاوضات أو بالاجتماعات، أو الحوارات والمؤتمرات الدولية والمحلية، بل تستعاد بالتضحيات والدم. وعليه، كانت فتح في المقدمة خائضة المعارك على أرض وطننا المحتل، وكانت أيضاً وقفتها العظيمة التي كانت في معركة الكرامة، عندما جاء العدو الصهيوني بقواته، وجيشه، ورئيس وزراء كيانه في تلك المرحلة ليفي إشكول، ووزير حربه ديان، ورئيس أركانه آنذاك ليشرفوا على المعركة.

وكأنما هي، ووفق ما ظنوا رحلة صيد، ونزهة بسيطة تنتهي بإنهاء الثورة الفلسطينية في مخيم الكرامة! ولكن هيهات.. لقد تحولت معركة الكرامة إلى مذبحة لحقت بالعدو، انتصرت فيها المقاومة في ٦ ساعات رداً على انتصارهم الذي حققوه في ستة أيام عام ١٩٦٧، حين كان الجنرال وايزمان الذي كان مسؤولاً عن ركن التخطيط في رئاسة الأركان آنذاك، قد هرّب زوجته إلى إيطاليا غداة الحرب ليتصل بها صباح اندلاعها ليقول لها: عودي انتهت الحرب!

أي أن ثوار فلسطين قد قرروا في موقعة الكرامة سلفاً أنهم لن يسلموا، لا في ستة ساعات، ولا ستة أيام، وحيث ألحقوا بالغزاة أفدح الخسائر فزوا هاربين يومها يلاحقهم أبطال الثورة الفلسطينية.

واستمرت الثورة عطاء وانتصاراً سياسياً وعلمياً واجتماعياً، إذ فتحت أمامها الآفاق ما دامت البندقية هي التي تمثل هذا الشعب الفلسطيني، ورغم كل المؤامرات التي حيكت ضدها، وما حصل في الأردن في الشهر التاسع، في تلك المرحلة، ومع خروج الثورة الفلسطينية من الأردن رغم أنها قد خسرت الأرض والساحة الحقيقية لها، لأسباب عدة، إلا أنها استمرت وأعطت، في سورية ولبنان، أعطت الكثير من العمليات الاستشهادية والفدائية ووصلت إلى سواحل فلسطين، ودخل ثوارها إلى فنادق تل أبيب، في سافوي، ووصلت المجموعات الفدائية إلى الخالصة ونهاريا وأم العقارب، وإلى كل المواقع على خارطة الوطن السليب. وظل العطاء مستمراً إلى أن حصل الخلل، حيث الخلل أيها الأخوة قد بدأ مبكراً، ومنذ أن قالوا للثوار إن ثمة إمكانية لحل سلمي، سياسي، أو حين كذبوا على قواعدهم وعلى قواهم، فأوصلونا إلى هذه النتيجة التي نعيشها اليوم. إذ عندما تخلّوا عن البندقية، كانت نتائج ذلك ما يعيشه شعبنا راهناً، جراء فقدانهم لضمائرهم، وتخليهم عن شرف الفدائي وكرامة العروبة، مقابل مصالحهم الشخصية تحت ذل الاحتلال.

ولكن شعبنا في كل مواقعه في الضفة الغربية والقطاع على حد سواء، يدفع ثمن تلك السياسات الغادرة، التي أسقطت البندقية اليوم في الضفة، أو هذا الثمن الكبير الذي يدفعه شعبنا.

أيها الأخوة والرفاق:

في ذكرى هذه اللحظة، لحظة العز، ليلة الكرامة، وبداية العطاء، نلتقي لنؤكد استمرار الثورة التي انطلقت في الفاتح من ١٩٦٥/١/١، وكان شعارها ثورة حتى النصر، شعار حركة فتح، الذي من يتخلى عنه، فقد تخلى عن أهداف ومبادئ وتاريخ حركة فتح وخرج عليها وخان شهدائها، وشهداء الثورة الفلسطينية،

وكذلك يفعل كل من يدعي أن هناك ثمة حلاً أو موقفاً فلسطينياً غير تحرير كامل التراب الفلسطيني، وعودة كل اللاجئين إلى ديارهم التي شُردّوا منها.

أيتها الأخوات.. أيها الأخوة..

من أجل هذه الأهداف، انطلقت الثورة الفلسطينية عام ١٩٦٥، وليس من أجل إيقاف المستوطنات في الضفة الغربية، أو من أجل وقف التهويد في القدس، التي تهود صباح مساء، وهم يتلهون بالزيارات والحوارات والمشاورات، والرحلات من مصر إلى السعودية ومن الغرب إلى الشرق، دونما أن يحقق ذلك أي نتيجة لصالح قضيتنا.

وفي هذه المناسبة، نحن في حركة فتح الانتفاضة، قد شعرنا مبكراً بخطورة هذه السياسة الرعناء، هذه السياسة المدمرة، ففي يوم ١٩٨٣/٥/٩، وقفنا لنحد من ذلك الانحراف، ولكن الذي تم قد تم- مع الأسف- صحيح أننا لم نتمكن من تحقيق ذلك، ولكننا قرعنا الجرس يومها، وقلنا لإخواننا في الساحة الفلسطينية، أن القضية في خطر... ولكن قوى الانحراف كانت تتنفس وتعيش، محمية بقوى خارجية وإقليمية ودولية فكان ما كان، واليوم نرى ما يجري داخل وطننا المحتل، ونرى أيضاً ما تتعرض لها غزة من حصار ظالم جائر، يمنعوا فيه لقمة الخبز عن أهلنا في قطاع غزة، والضفة الغربية ليس في أحسن حال بالطبع، لأنها تحت الاحتلال الصهيوني ومعه الأمريكي من خلال الجنرال دايتون، وأيضا هي الآن تحت هيمنة سلطة عميلة تطارد المناضلين والمقاومين وتزج بهم في السجون، تمهيداً ليعتقلهم العدو، أو يقتلهم داخل بيوتهم.

أيها الأخوة والأخوات..

للرد على كل هذا، ولمواجهة هذه السقوط الذي يتم على حساب القضية الفلسطينية، ماذا يتوجب علينا نحن كقوى وفصائل وطنية أن نفعل، ونحن نطرح أنفسنا بأننا لسنا مع مثل هذا المسار، ولسنا مع مثل هذه السياسات... كيف نرد على هؤلاء؟!

هل نرد عليهم ببيان، هل نجتمع ونشكل مظاهرة، هل نجتمع مثل هذا الاجتماع ونلقي خطاباً؟!

أنا لا أعتقد أن هذا هو الرد على مثل هذه السياسات القائمة الآن من خلال سلطة الحكم الإداري الذاتي، ومن يسبح في فلكهم... إن المرحلة خطيرة، وأي تقاعس من قوى الرفض والممانعة في الشعب الفلسطيني، من الفصائل الفلسطينية، لا يجوز، بل أصبح الفرز ضرورة في الساحة الفلسطينية، إذ لم يعد ممكناً اللقاء مع أولئك، الذين انغمسوا من أخمص أقدامهم إلى قمة رؤوسهم في سياسات ضالة ومدمرة ومخادعة، بحيث لم يعد بإمكانهم أن يعودوا ولو خطوة إلى الخلف.

إذن، فالمطلوب في هذه المرحلة واليوم وليس غداً، وضع برنامج سياسي، ينطلق من الميثاق الوطني الفلسطيني ناظماً، بعد أن نعيد الاعتبار للميثاق الوطني الفلسطيني الذي عبثوا به وألغوا ما ألغوا من بنوده أمام كلينتون في غزة عام ١٩٩٨. لابد من أن يكون هنالك إطار، نسميه ما تشاؤون، نسميه مرجعية وطنية، وهذا جيد، وإذا قلنا عنه جبهة وهذا جيد أيضاً، ولنسمّها أي شيء يتفق عليه، ولكن على هذه القوى أن تتوحد الآن على برنامج ورؤى سياسية واضحة كل الوضوح، لا لبس فيها، ولا لون فيها سوى اللون الأبيض الناصع، مرجعية تقول: هذا هو طريقنا، فلسطين من النهر إلى البحر، فلسطين لنا، وعودة اللاجئين ولا غير ذلك، هذا هو الطريق الذي يمكن أن يردع مثل تلك القوى، التي تسيطر الآن، سارقةً شرعية التمثيل للشعب الفلسطيني. يجب أن يكون هناك قوى وطنية موحدة لها صفة لتقول لشعبنا أولاً، هذه هي الرؤية السياسية، وهذا هو الموقف الفلسطيني الشريف الحقيقي. ودون ذلك، إن بقينا على هذه الحال، أنا أقول بأمانة أننا سنتحمل المسؤولية عن هذا الواقع مثلما يتحملوا هم ولو بنسبة ما.

نتحملها لمجرد أن نتركهم يصولون ويجولون ويمثلون الشعب الفلسطيني ولا نواجههم إلا بالبيان. أقول لكم مجدداً، أن مثل هذا هو أضعف الإيمان، وأضعف الإيمان هذا لن يعطينا النتائج التي ننشدها.

إن الواقع والمرحلة أيتها الأخوات والأخوة، تحتاج منا الوضوح كل الوضوح، وإلا فكل منا يتحمل مسؤوليته أمام الله وأمام شعبنا، وأمام أمتنا، وأهلاً وسهلاً بكم وإنشاء الله في السنة القادمة نكون في أحسن حال من حالنا اليوم، وأفضل مما نحن فيه الآن، وتظل الثورة مستمرة وشعارها ثورة حتى النصر، مستمرة حتى يتم التحرير الكامل إنشاء الله.

وفي الختام أدعو إخوتي قادة وممثلي الفصائل الفلسطينية، وكل الحضور من المناضلين الشرفاء في شعبنا وفي أمتنا، إلى أن نتقدم سوياً لنشعل شعلة الانطلاقة الخالدة، ولنقول سوياً أن الثورة مستمرة حتى النصر، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الأخ أبو موسى يبرق معزيا الرئيس الأسد بوفاة شقيقه

وجه الأخ أبو موسى أمين سر اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح-الانتفاضة برقية تعزية للرئيس السوري بشار الأسد إثر وفاة شقيقه مجد الأسد، في ما يلي نصها:،

سيادة الأخ الرئيس بشار الأسد حفظه الله

رئيس الجمهورية العربية السورية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بمشاعر عميقة من الألم والحزن تلقينا نبأ وفاة شقيقكم المغفور له مجد حافظ الأسد .

أنني إذ أتقدم باسمي شخصياً ونيابةً عن إخواني في اللجنة المركزية للحركة وعموم كوادر الحركة ومناضليها ، بأحر التعازي وأصدق مشاعر المواساة ، لسيادتكم ، وإلى أشقائه الكرام وللسيدة الفاضلة الوالدة ، وعموم آل الأسد الكرام ، لنضرع إلى الله العزيز الحكيم أن يتغمد الفقيد العزيز بواسع رحمته وأن يسكنه فسيح جناته ، وأن يلهمكم الصبر والسلوان .

وإنا لله وإنا إليه راجعون

وكم

أبو موسى

أمين سر اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني / فتح - الانتفاضة

في ٢٠٠٩/١٢/١٤م

Digitized by Birzeit University Library

عام جديد.. وسابق حافل بالمفارقات الدولية والعربية
نوبل للمحارب... وأمثلة أخرى!

عبداللطيف مهنا

انتهى عام، وهل آخر... نحن نعيش حقبة دولية وأياماً عربية لا سابق لهما، ربما لكي تفهمها ويأخذك هذا الفهم إلى ما بعدهما فلا بد لك سلفاً من أن تنحي من حساباتك المنطق جانباً، وأن يدير ذهنك ظهره للمعقول احترازاً، كما وأن عليك أن تمرن النفس وتعدها محتاطاً لتوقع ما كنت قد لا تتوقعه أو حتى تتخيله.

هل في هذا بعض من مبالغة في قراءتنا لما يدور من حولنا وبين ظهرانينا، أم فيه بعض من مغالاة في التشاؤم؟!

ربما. لكن، لنحتكم إلى مجرد حفنة مختارة من الأمثلة الطازجة، بعضها الدولي والآخر المحلي، لنرى ما إذا كان بإمكاننا الإجابة على سؤالنا هذا بالموافقة أم بالنفي!

خلال الأيام القريبة المتصرمة شُغلنا، أو شَغلنا الإعلام بنقله لنا لأربعة أحداث قد نجد فيها ضالتنا المنشودة، بعضها لاكه واجتره لأيام، والآخر نحاه جانباً ما تم التركيز عليه وطغى عليه، وتناساه ناقله. وبالتالي، لم نتوقف أو لم يشاء أن يوقف الإعلام أغلبنا عنده... لنبدأ بآخرها زمنياً، لسخونته وطرافته وإثارته، أو الذي لا يزال يثير لغطاً وتفكهاً... لقد جاءنا من أوسلو ما يلي:

تم منح جائزة نوبل للسلام للرئيس الأمريكي المحارب الذي يقود حربين دمويتين معاً، ومواصلة لحرب سلفه الكونية الشاملة على ذاك العدو اللامرئي المكنى بـ"الإرهاب" حتى النصر... مع أخذ المانحين في الحسبان أن الممنوح المحظوظ بهذه الجائزة هو مستجد في السلطة التي لم يمتط سنامها إلا قبل ما يقل عن العام، كما لم يحقق بعد سلاماً مرتجى كافوه سلفاً عليه، اللهم إلا مع أولئك المحافظين الجدد في بلاده، بتبنيه لاستراتيجية سلفه المذموم في حربيه العراقية والأفغانية، ويواصل من بعده ذات أم الحروب الاستباقية العظمى، أو حربه الكونية على العدو شبه الخرافي "الإرهاب"!

وقف الرئيس الأمريكي المحارب باراك حسين أوباما في أوسلو الكريمة يتنازعه مزيج من البهجة والزهو والارتباك وعدم التصديق، مستلماً شهادة الجائزة العتيدة التي خط فيها ما منحوه لمن رأوا أنه يستحق، مرفقة بميدالية ذهبية وشيكاً مليونياً من الدولارات، كان هذا تقديراً منهم وتشجيعاً له ولبلاده على ما هما فيه من مآثر دموية سلامية استحقت لأجلها مثل هذه اللفتة الاسكندنافية... مثلاً:

وهو يستلم الجائزة كان ما يقارب النصف مليون جندي من جنوده، وما يلزم لاستخدامه من أكثر وسائل الموت تطوراً وتعقيداً في البر والبحر والجو، أثبتوا أنهم يمارسون بها مهامهم السلامية في العالمين العربي والإسلامي بجدارة واحتراف... وفي ذات الوقت، كانت طائراته التي بلا طيار تسفك بتقنية عالية الدقة دماء عائلة أفغانية أو باكستانية، حيث لا فرق هذه الأيام عندها هناك، على جانبي الحدود بين عدو يقاوم محتل أو حليف ابتلي بتحالفه مع هذا المحتل... عائلة صدف أن تحول منزلها المنكود هدفاً سهلاً لتجاربها التدميرية السلامية.

أوباما المحارب الذي حصل على الجائزة الشهيرة، رد على التحية السلامية بأحسن منها. برر كامل الحملات العسكرية الامبراطورية، أو تلك الغزوات والاحتلالات، وجاري الأيام الدموية الأمريكية التي ورثها عن السلف الصالح وواصل إدارتها وقيادتها. أحصى العالم المستمع في كلمته الشاكرة المكرّمة كلمة الحرب فقط ٤٤ مرة، وابتدع فيها مصطلحات جديدة مثل، "الحرب العادلة" و"الحرب الضرورة". فاخر بأن بلاده المحاربة هي "حاملة لرسالة المعايير في سلوكيات الحرب"، وأن التزامها بما تحمله "هو ما خلق الفارق بينها وبين أعدائها"... ما هي هذه المعايير؟ قال أنها ما تحكمه المصالح والأخلاق... ما هي هذه المصالح وهذه الأخلاق؟ إنها ذات المصالح الامبراطورية المعروفة لكل ضحاياها في العالم والتي لا تحتاج لسرد أو تبيان. أما الأخلاق فتلك التي تبدى منها ما تبدى في معتقل "أبو غريب" العراقي، و"باغرام" الأفغاني، وذاك الذائع الصيت "غوانتينامو"... وما كان من خبر السجون الطائرة، ومن تلك المومهة في جوف غابات بولونيا، وسواها من تلك التي تنوب عنها المبثوثة في بعض أركان الكرة الأرضية المختبئة تحت أعلام بلدانها... كان أوباما شفافاً على الطريقة الأمريكية وتحدث بنزاهة امبراطورية في أوسلو للمصفقين له، قال لهم:

وأنا بينكم أرسل الآن جنودي إلى أفغانستان، منهم "من سيَقتُل ومنهم من سيُقتَل" ولا بأس في هذا، لأن "أدوات الحرب لديها دور تؤديه في الحفاظ على السلام"... "والأكيد أنه ستقع حروب" قادمة!!!

الحدث الثاني، بدأ أيضاً بمأثرة اسكندنافية... بالمناسبة، اتفاقية أوسلو أيضاً كانت من المآثر الاسكندنافية... أما هذه المرة فجائتنا من استوكهولم، العاصمة التي ترأس راهناً الاتحاد الأوروبي. حاول السويديون أن يتمايزوا عن سواهم أو يكونوا أكثر إنصافاً ولو قليلاً، وللحق هم نسبياً دائماً كذلك، قدموا مقترحهم ليعتمده وزراء خارجية الاتحاد... كان باختصار التأكيد على ذات المواقف الأوروبية المنافقة أو الإيهامية حيال الصراع في بلادنا. تلك التي لحمتها وسداتها حقيقتان في الجوهر كانتا عتيقتان، وظلتا جليتان. كانتا دائماً ذاك الانحياز النهائي، إلى الجانب الصهيوني، لكنما المواه عبر المواقف التي تصاغ إعلاناتها بتحايل لفظي يوحي للواهمين ببعض من التمايز الشكلي عن المواقف الأمريكية. والتي تنحو في حقيقة الأمر إلى التكامل مع هذه المواقف، أو التي لا يلبث أصحابها من اللحاق بالركب الأمريكي في نهاية المطاف... لم يكن هناك من جديد في البيان الأوروبي، وهذا ما قالها الصهاينة المعبرون عن رضاهم وأسهم معاً تعقيباً، لاسيما بعد أن أجهز تعديل وزراء خارجية الاتحاد على ذاك التمايز السويدي المقترح في البيان الذي يقول بالقدس الشرقية عاصمة للدولة الفلسطينية "المقبلة"، ليحول القدس إلى "عاصمة مستقبلية" للدولتين...

وأبقوا على كلام من قديمهم الجديد عن حدود ١٩٦٧، وعدم الاعتراف بضم القدس... كلام حتى الأمريكان لا زالو نظرياً يقولون بمثله، وحتى يشاركهم فيه بعض الصهاينة... الأوروبيون اقتصر جديدهم على جب ما قبله، بإعرابهم عن دعمهم للجهود التي تبذلها الولايات المتحدة لاستئناف المفاوضات حول الوضع النهائي، بما في ذلك المشاكل المرتبطة "بالحدود والقدس واللاجئين والأمن والمياه" وربطوا كل هذا بتوافق الطرفين المُحتل ومن يحتله... وطالبوا بتفكيك "كل المواقع الإسرائيلية التي بنيت في الضفة الغربية منذ العام ٢٠٠١"... بمعنى، الموافقة ضمناً على ما بني قبل ذلك!!!

... لم يزد التحرك الأوروبي التقليدي المنافق على كونه يأتي ضمن دور مطلوب في سياق ما عبر عنه وزير خارجية السويد معقباً على تبني مقترح بلاده معدلاً، بقوله، "إن البيان يعد مؤشراً مشجعاً للأهمية السياسية للاتحاد الأوروبي في المنطقة"... أما الهدف منه، فهو محاولة الإيهام بأن حكاية المرحومة "عملية السلام" لازالت قيد التداول، أو هي لازالت حيّة بعد أن دقّ نتنياهو آخر المسامير في نعشها، وصادق تراجع أوباما على قرار دفنها... خلاصة التحرك الأوروبي تكمن في ما قاله وزير خارجية ألمانيا، المعبرة عن سعادتها "لتخفيف" البيان الأوروبي، عندما قال: "لا يمكننا أن نفرض نهاية المفاوضات من خلال فرض الشكل الذي ستكون عليه أراضي الدولة الفلسطينية في المستقبل. نحن قلنا هذا غير ممكن، وهذا يتفق مع العلاقة الخاصة بين ألمانيا وإسرائيل"...

المثالين الباقيين التاليين، هما ما كنا وصفناهما بالمحليين، وهما على التوالي، الإسرائيلي والعربي. الأول، هو الرد الصهيوني على البيان الأوروبي، المتمثل في ما عرف بقانون الاستثناء على أي انسحابات قد تتخذ من الأراضي العربية المحتلة أو تنجم عن المفاوضات والذي أقره الكنيست بأغلبية مطلقة وبإجماع كافة أطراف الإئتلاف الحاكم، وحتى من كانوا يعارضونه من وزرائه، والذي عقب عليه نتنياهو: "إننا نخوض صراعاً دائماً على خارطة كل إسرائيل"... ثم قراره اللاحق المنسجم مع طبيعة هذا الصراع، وهو، اعتبار "المستوطنات" المعزولة، بمعنى الثانية أو الثانوية، مناطق لها "أولوية قومية" أي ستلقى "مكانة أفضلية"، ووفق "معايير أمنية"... وأنباء متوازية عن استحداث بؤرة استيطانية جديدة من قبل المستوطنين بالقرب من مدينة دورا في منطقة الخليل أطلقوا عليها "نجهوت"!

... الحدث الصهيوني يختلف عن سابقيه في كونه منطقياً ويأتي تماماً وفق المنطق الصهيوني، وعليه، فهو لا يخرج عن المعقول أو المتوقع، لأنه إنما يجيء وفق ذات المعايير التي تحكم جاري التطبيقات "الإسرائيلية" للاستراتيجية الصهيونية إياها، التي لم تتبدل أو تتغير أو تتوقف محاولات تطبيقها حرفياً منذ أن وضعت قبل أكثر من قرن. أو هو يأتي منسجماً تماماً مع طبيعة الكيان الغاصب الذي نجم وجوده عن عملية تحقيق هذه الاستراتيجية المندرجة في سياق الاستراتيجية الأكبر أو المشروع الغربي الاستعماري في بلادنا، وكل ما هو خلاف ما نم عنه هذا الحدث، يظل هو المجافي للمنطق، أو لا يتفق مع المتوقع من قبل الصهاينة... لكنما غير المنطقي واللامعقول، وإن كان المتوقع، هو ترحيب سلطة الحكم الذاتي الاداري المحدود في رام الله المحتلة بالبيان الأوروبي، واعتباره من قبل رئيس حكومتها المؤقتة "انتصاراً للشرعية والقانون الدوليين"!

الحدث الرابع أو الأخير، وهو العربي، جاءنا هذه المرة من صحيفة "هارتس الإسرائيلية"، ونقلت مثله وأضافت إليه تفاصيلاً هيئة الإذاعة البريطانية، ولم يصدر من الجهة المعنية رسمياً ما ينفيه. يقول الخبر، أنه تجري عملية بناء حائط فولاذي ضخم على الحدود المصرية مع قطاع غزة، هو عبارة عن أسوار فوق الأرض وتوغل تحتها، صنعت في الولايات المتحدة، لكي "تسد طريق الأنفاق" التي يتنفس فلسطينيو القطاع عبرها، ولإحكام الحصار عليهم!!!

هل فيما تقدم بعض ما يجيب قاطعاً على سؤالنا الذي طرحناه بداية؟!

وإذا كان الجواب أن لا من مبالغة ولا ثمة من تشاؤم، فما هو إذن حالنا المفترض حيال ما سردنا؟!

أزعم أنه لابد وأن يكون، التفاؤل... لماذا؟ لأن كل هذا اللامعقول واللامنطقي واللامتوقع، إن كان دولياً أو محلياً، إذا ما أخضعناه للمنطق والمعقول والمتوقع، لا ينبئ بسوى شيء واحد، ولن يتمخض إلا عنه، كما لن يطول انتظاره، وهو، إن دوام مثل هذا الحال هو قطعاً من المحال... وتذكّروا حدثاً خامساً له دلالاته، إنه اللحظة الأولى من بدء الأول من هذا العام الجديد، التي أهلت علينا بالذكرى الخامسة والأربعين لانطلاقة رصاصة ثوار العاصفة، انطلاقة فتح، اندلاع الثورة الفلسطينية المعاصرة، التي أذنت بمرحلة نضالية جديدة في حينها أخرجت القضية من درج النسيان وحولت اللاجئ إلى مقاتل، وهي إذ تمر فتعني فيما تعني أمراً ثابتاً، وهو أن هذا الشعب الفلسطيني المناضل وهذه الأمة العربية المجيدة ذات الموروث النضالي الهائل قادران في كل المحطات النضالية على ابتكار جديد أشكالها، والرد على اللحظات المظلمة على هذا اللامعقول واللامنطق واللامتوقع، وقديماً قال أجدادنا: اشتدي يا أزمة تنفرجي، إنه بعض ما قاله ويقوله لنا الحدث الخامس.

Digitized by Birzeit University Library

المسيحيون الفلسطينيون ...
لاهوت المقاومة والصمود بديلاً لنزيف الهجرة والمنافي.

مأمون كيوان

شارك المسيحيون الفلسطينيون في كافة مراحل العمل الوطني الفلسطيني منذ العام ١٩١٧ حيث وجهوا في العام ١٩٣٦ نداء إلى العالم المسيحي لإنقاذ فلسطين والأماكن المقدسة فيها من الخطر الصهيوني. كما شاركوا في الهيئات والمؤسسات الوطنية التي شكلت لمواجهة الحركة الصهيونية و «إسرائيل» لاحقا.

وكانت التحديات و الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي واجهها المجتمع الفلسطيني قبل وبعد العام ١٩٤٨ من أبرز العوامل التي انعكست سلبا على أحوال المسيحيين الفلسطينيين. ففي أواخر العهد العثماني هاجر الآلاف من المسيحيين إلى دول أميركا اللاتينية هربا من العسف والتجنيد في الجيش التركي. غير أن ما يحصل الآن في بداية القرن الحادي والعشرين هو أمر خطير إذ أنهم يغادرون وطنهم بأعداد كبيرة وفي خلال انتفاضة الأقصى وحدها هاجر نحو ١٢٠٠ نسمة من أهالي مدينة بيت لحم، ١٣٠٠ نسمة من أهالي بيت ساحور وبيت جالا أيضا، و صارت بيت لحم مدينة ذات أغلبية إسلامية. ولعل ممارسات الاحتلال هي السبب الأهم في دفع المسيحيين الفلسطينيين نحو الهجرة ، الذين تعرضوا منذ عام ١٩٤٨، للقمع والقتل والتدمير، وقد حاول الصهاينة أن يلعبوا على وتر الطائفية لإثارة المشاكل بين أبناء الشعب العربي الفلسطيني من مسلمين ومسيحيين. واستخدم الصهاينة أساليب عدة بغية إثارة الطائفية خاصة بين المسلمين والمسيحيين ومن هذه الأساليب تشويه صورة موقف الإسلام من النصرانية، ومنها أيضاً موضوع الأقلية والأكثرية وأن الأكثرية المسلمة تريد أن تلتهم الطائفة.

وقد عمل المسيحيون الفلسطينيون مؤخرا في مواجهة الممارسات الصهيونية بحقهم على إصدار وثيقة لاهوتية، تعد الأولى من نوعها، وتدعو الكيان الصهيوني لإنهاء احتلاله للأراضي الفلسطينية بما فيها القدس المحتلة. و تحمل الوثيقة العنوان التالي: "وقفة حق: كلمة إيمان ورجاء ومحبة من قلب معاناة الشعب الفلسطيني"، وتشدد على القيم المسيحية والإنسانية. و تناشد المجتمع الدولي الوقوف إلى جانب المظلومين من أجل إعطاء الفلسطينيين حقوقهم الإنسانية المنتهكة وتحرير "الإسرائيليين" من عنف احتلالهم. وتدعو الوثيقة المسيحيين في جميع أنحاء العالم، لإعادة النظر في تفسيرات الكتاب المقدس، وعدم إعطاء الشرعية التوراتية واللاهوتية للتعدي على حقوق الإنسان".

وتعتبر الوثيقة الاحتلال الصهيوني للأرض الفلسطينية "خطيئة ضد الله وضد الإنسان لأنه يحرم الإنسان الفلسطيني حقوقه الإنسانية الأساسية التي منحه إياها الله، ويشوه صورة الله في الإنسان الإسرائيلي المحتلّ بقدر ما يشوّهها في الإنسان الفلسطيني الواقع تحت الاحتلال".

ويؤكد المسيحيون في الوثيقة على ضرورة تعايش المسيحيين والمسلمين واليهود على هذه الأرض باحترام متبادل، كما تحث المسيحيين المحليين على الصمود والثبات والرجاء والعمل. و تدعو الكنائس والحكومات والأفراد والمجتمع الدولي الى وضع نظام للعقوبات الاقتصادية ومقاطعة الكيان الصهيوني.

و يلاحظ أنه ومنذ نهايات القرن التاسع عشر و لأسباب مختلفة انحسرت نسبة المسيحيين في فلسطين إلى ١٣٪ من مجموع السكان. ومع بداية الانتداب البريطاني لفلسطين هبطت نسبتهم إلى ٩,٦٪ وفي العام ١٩٣١ صارت ٨,٨٪ وفي العام١٩٤٨ أصبحت نحو ٨٪. لكن بحلول العام ٢٠٠٠ بلغت نسبة المسيحيون قرابة ١,٦٪ فقط، أي ما يعادل نحو ١٦٥ ألفا، بينهم ١١٤ ألفا يتواجدون في «إسرائيل»، و٥٠ ألفا يقيمون في الضفة الغربية وقطاع غزة.

و تنقسم التجمعات المسيحية ، وفق المذاهب المسيحية الأساسية إلى: الأرثوذكسية و الأرثوذكسية غير الخلقدونية و الكاثوليك والبروتستانت. وقد انفصلت هذه الكنيسة عن روما عام ١٠٥٤، وحاليا تعد الكنيسة الرئيسية حيث تضم نحو ١٢٠ ألف.

وكانت أولى الكنائس الإنجيلية ظهرت في فلسطين في القدس في سنة ١٨٣١. غير أن الكنيسة الأرثوذكسية ما برحت تعاني مشكلة خاصة ومتمادية منذ زمن طويل هي الشطارها بين رعية عربية خالصة العروبة ورأس غريب عنها في الأصل واللسان معا. فقبل سنة ١٥٣٤ كانت الكنيسة الأرثوذكسية عربية تماماً من قمة الهرم الاكليركي حتى الراهب العادي. ولكن، في تلك السنة، صعد إلى السدة البطريركية كاهن يوناني شديد التعصب لليونان مع أنه نشأ في فلسطين وعاش في ربوعها وبين أهلها المتسامحين. وتمكن هذا البطريرك الذي يدعى جرمانوس، خلال وجوده الطويل على رأس الكنيسة، من إقصاء رجال الدين العرب عن الوظائف الكنسية العليا وحصرها في أبناء جنسه اليونانيين. ولا زال الأمر على هذا النحو حتى اليوم على الرغم من الكفاح الدؤوب لتغيير هذا الواقع وإعادته إلى ما كان عليه.

وتوجد إلى جانب الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية كنائس أرثوذكسية أخرى في الكيان الصهيوني هي: الكنيسة الأرثوذكسية الروسية والكنيسة الأرثوذكسية الرومانية. وقد تأسست الكنيسة الأرثوذكسية الروسية في القدس عام ١٨٥٨، وكان المسيحيون الروس قد بدؤوا يزورون الأماكن المقدسة منذ القرن الحادي عشر.

أما الكنائس غير الخلقدونية فتضم الأرمن والأقباط والأثيوبيين والسوريين. وهي الكنائس التي تعترض على تعاليم مجمع غير خلقدونية حول الطبيعة المزدوجة لمسيح الناصرة حيث تؤمن بالطبيعة الواحدة له. ويرجع تواجد الأرمن الأرثوذكس في القدس إلى القرن الخامس الميلادي. وقد أعطى الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب صفة رسمية لرئيسهم أبراهام عام٦٣٨. وأسست هذه الكنيسة بطريركية لها في القدس عام ١٣١١ للميلاد. وخلال القرن التاسع عشر وأثناء وبعد الحرب العالمية الأولى نمت التجمعات الأرمينية في القدس بشكل غير مسبوق نتيجة للمذابح التي تعرض لها الأرمن خلال هذه الحرب في أرمينيا، حيث وصل عددهم قبل عام ١٩٣٩ إلى ما يزيد عن ١٥ ألف شخص. وكانت تعتبر ثالث أكبر تجمع مسيحي في فلسطين. إلا أن عدد المسيحيين الأرمن الأرثوذكس في إسرائيل حاليا لا يزيد عن ٤ آلاف شخص فقط.

وتتبع الكنيسة القبطية الأرثوذكسية البابا القبطي الأنبا شنودة في مصر. ويرجع تأسيس هذه الكنيسة في مصر إلى القرن الأول الميلادي. واليوم يضم التجمع القبطي الأرثوذكسي في "إسرائيل" نحو ١٠٠٠ شخص.

وتأسست الكنيسة الأرثوذكسية في القدس في أوائل القرن الرابع الميلادي. وتمتعت هذه الكنيسة بوضعية متميزة بالنسبة للخدمة في الأماكن المقدسة المسيحية خلال فترة الحكم العثماني. وتضم هذه الكنيسة حاليا عشرات الأشخاص يعملون في الأماكن المقدسة في القدس. ومنذ إعادة العلاقات الدبلوماسية بين "إسرائيل" وأثيوبيا يزور نحو ١٠٠٠ أثيوبي سنويا الأماكن المقدسة خلال أسبوع الآلام وعيد يوم القيامة.

ويعتبر العام ٩٣٧ ميلادي عام تأسيس الكنيسة الأرثوذكسية السورية في القدس، وأصبح لها مقر و رئيس (بابا) في القدس منذ العام ١٤٧١. وتضم حاليا نحو ٢٠٠٠ شخص يعيش معظمهم في القدس وبيت ساليم.

ويقيم في إسرائيل حاليا ٢٠ ألف شخص من أتباع الكنيسة اللاتينية إلى جانب ١٠ آلاف شخص يتواجدون في الضفة الغربية وقطاع غزة.

وهناك أيضا الكنيسة اليونانية التي تأسست عام ١٧٥٢ في القدس، والتي تضم حاليا أبرشية في الجليل وأخرى في القدس. ويبلغ إجمالي عدد أتباعها نحو ٣٠٠٠ شخص يقيمون في الجليل والقدس.

وتضم الكنيسة الكاثوليكية السورية التي تأسست عام ١٦٦٣ نحو ٣٥٠ شخصا فقط. أما الكنيسة الأرمينية الكاثوليكية التي تأسست عام ١٧٤١ بعد انشقاقها عن الكنيسة الأرمينية الأرثوذكسية التي تضم اليوم نجو ٩٠٠ شخص يقيمون في القدس وحيفا وقطاع غزة.

ويعود ظهور التجمعات المسيحية البروتستانتية في الشرق الأوسط إلى أوائل القرن التاسع عشر، وكان لها بعثة تبشيرية في القدس. وكانت مهمتها إقناع اليهود وبعض المسلمين بالمسيحية إلا أنها لم تستطيع سوى جذب بعض الأرثوذكس. وقد أنشأت الكنيسة الأنجليكانية في القدس عام ١٨٤١ وتم انتخاب أول رئيس عربي لها عام ١٩٧٦ وتضم حاليا نحو ٤٥٠٠ شخص. وتعد أكبر تجمع بروتستانتي في الكيان الصهيوني.

أما وجود الكنيسة اللوثرية في القدس فيعود إلى العام ١٨٤١ أيضا، وكانت قد تأسست في مدينة الناصرة في العام ١٩١١ كنيسة البابتيست التي تضم حاليا ٩٠٠ شخص يتحدث معظمهم العربية، بالإضافة إلى الكنيسة الاسكتلندية التي بدأت ببعثة عام ١٨٤٠ ويتركز عملها في مجال التعليم والصحة. والمفارقة هي أن الكنيسة اللاتينية تعرّبت وتولى البطريرك ميشال صبّاح أمرها بكفاءة تليق بهذا الموقع، بينما الكنيسة الأرثوذكسية ما زال رأسها يخالف جسدها.

وحسب معطيات رسمية نشرها مكتب الإحصاء المركزي في الكيان الصهيوني كان يعيش حوالي ١٤٢،٠٠٠ مسيحي، غالبيتهم ١١٥،٠٠٠ من المسيحيين العرب. ويعيش ٩٨٪ من المسيحيين في المدن. ويعيش غالبيتهم٨٤،٠٠٠ في منطقة الشمال. ومن بينهم حوالي ٢٠،٠٠٠ في الناصرة. كذلك فإن من بين المناطق التي يقطن فيها عدد كبير من المسيحيين نذكر مدينة حيفا ١٦،٥٠٠ والقدس -أكثر من ١٤،٠٠٠- وشفاعمرو ٨،٠٠٠و في نهاية عام ٢٠٠٣ وصل عدد السكان المسيحيين (لا يشمل العمّال الأجانب) في الكيان الصهيوني إلى أكثر من ١٤٢،٠٠٠ فرد، وهو ما يعادل نسبته ٢،١٪ من مجمل السكان في الكيان الصهيوني إ.

وغالبية السكان المسيحيين هم من العرب (١١٥،٤٠٠ نسمة)، إضافة إلى حوالي ٢٧ ألف نسمة من المسيحيين الذين قدموا إلى الكيان الصهيوني في إطار قانون العودة. وقد وصلت غالبيتهم مع موجة القادمين الجدد الذين هاجروا من الإتحاد السوفيتي السابق وأثيوبيا في سنوات التسعينات. وحوالي ٥،٠٠٠ هاجروا إلى البلاد مع موجة القادمين في سنوات السبعينات والثمانينات من رومانيا وبولندا.

وحسب التوقعات التي نشرها مكتب الإحصاءات المركزي فإنه حتى نهاية عام ٢٠١٠ سيكون عدد السكان المسيحيين ١٥٤،٠٠٠ فرداً، أي ارتفاع بنسبة ١,٥٪ سنوياً. مع نهاية عام ٢٠٢٠ سيزداد عدد المسيحيين ليصل إلى ١٧٤،٠٠٠ فرداً. نسبة معدل التزايد السنوي بين السنوات ٢٠١٠-٢٠٢٠ ستنخفض إلى ١٪.

وكان من أبرز الممارسات الصهيونية ضد المسيحيين الفلسطينيين ، نذكر: صادرت السلطات «الإسرائيلية» العديد من الكنائس والأراضي التابعة لها مثل كنيسة المنصورة، وكنيسة إقرت وأراضي كنيسة البصة المهدومة. كما استولت على كنيسة الأرثوذكس في حيفا. ومنعت إقامة الصلاة فيها لثلاث سنوات وبعد إعادتها للمسيحيين الفلسطينيين أخذ المتطرفون اليهود بإلقاء القاذورات على رؤوس المصلين. كما حدث في القداس الاحتفالي الذي أقيم برعاية المطران اسيدورس مطران الناصرة في العام ١٩٥١.

و لحق التدمير المقابر المسيحية منذ ١٩٤٨وقامت الجرافات بحراثتها وتحويلها إلى حقول وبيارات مثل مقابر سيرين، معلول، البصة، ومقبرة المنصورة التي حوّلت إلى مزبلة.

و شملت الممارسات الصهيونية اعتداءات على رجال دين مسيحيين. كما تعرض عدد من رجال الدين المسيحي للنفي خارج البلاد واعتقل عدد آخر منهم، وكان على رأس المعتقلين المطران كبوشي الذي كان بطريرك القدس للطائفة الأرثوذكسية ، والذي نُفي من فلسطين لكنه ظل يواصل نضاله على الرغم من أن الكنيسة الأرثوذكسية عينته بطريركاً في البرازيل لإبعاده عن ساحة الصراع في فلسطين مع المحتلين الصهاينة.

Digitized by Birzeit University Library

العام ٢٠٠٩ عام الاستيطان ومسارعة تهويد ما تبقى من فلسطين.

محمد رشاد الشريف

كان عام ٢٠٠٩ المنصرم ،الذي بدأ مع الحرب الصهيونية الإجرامية، التي ارتكبت فيه مجازر رهيبة يندى لها جبين الإنسانية على قطاع غزة ، عام تصعيد الهجوم الاستيطاني المسعور،الذي لم يسبق له مثيل في الأرض الفلسطينية المحتلة .وعاماً استمرت فيه الممارسات والإجراءات العنصرية الصهيونية العدوانية،ضد أبناء شعبنا الفلسطيني في مختلف أماكن تواجدهم داخل هذه الأرض ، في الضفة الغربية ،والقدس بشكل اكبر ،وفي الأرض المحتلة عام ١٩٤٨ ،وفي قطاع غزة .

تصعيد عمليات الاستيطان والتهويد ،

ويمكن القول أن تزايد البناء وأعمال الاستيطان في الأرض المحتلة ، التي كانت تجري في عهد حكومة حزب كاديما برئاسة إيهود أولمرت ، والتي تزايد عدد المستوطنين فيها من ٢٥٠ ألفاً إلى ٣٠٠ ألف مستوطن ،وبني في عام ٢٠٠٨ السابق وحده ٣٢٠٠ وحدة سكنية حسب معطيات المكتب المركزي للإحصاء في الكيان الصهيوني ، قد أخذ شكلاً مسعوراً منذ جاءت حكومة نتنياهو الحالية المتطرفة إلى السلطة في شهر آذار عام ٢٠٠٩ .

ففي ذلك الشهر كشف عن مخطط لوزارة الإسكان لبناء ٧٣٣٠٠ وحدة سكنية في الضفة الغربية ،منها ٦آلاف وحدة في محيط القدس،صادقت الوزارة على ١٥ ألف وحدة منها ،وأنه أنجز بناء ٩ آلاف وحدة منها . وقالت المصادر أنه إذا صودق على بناء ال ٥٤ ألف وحدة الأخرى ، فسيتضاعف عدد المستوطنين في الضفة الغربية مرتين . وأن ١٩ ألفاً منها ستبنى في الكتل الاستيطانية شرق الجدار، مثل كريات أربع وكرني شمرون وأرئيل ، وفي المستوطنات العشوائية التي كانت الحكومة الصهيونية قد التزمت بإزالتها . كما أعلن وزير النقل يسرائيل كاتس أن حكومة نتنياهو ستواصل البناء في ١٢ تجمعاً استيطانياً في القدس المحتلة ،وفي بناء ٢٥٠٠ وحدة سكنية في مستوطنات الضفة الغربية ،وفي شق الطرق وبناء المدارس والكنس والمستوصفات والمباني العامة في هذه المستوطنات .

وفي الوقت نفسه كانت بلدية القدس قد صادقت على بناء حي استيطاني في جبل المكبر في القدس، يبدأ ببناء ٢٠ وحدة سكنية في موقع فندق شيبرد ، ثم يتمدد في اتجاه الشيخ جراح ،وقام وزير الحرب الصهيوني بالمصادقة على بناء مستوطنة في جنوب جبل الخليل ، باسم سانسينا مكان نقطة استيطان سابقة ، وستضم ٤٤٠ وحدة سكنية يعيش فيها ٢٥٠٠ مستوطن ستبدأ ب٥٠ وحدة سكنية في المرحلة الأولى . وعل حد قول الكاتب الصهيوني عاموس هرئيل ،،فإن ما يحدث منذ مجيء نتنياهو إلى السلطة ، هو أكبر زخم استيطاني في الضفة الغربية منذ عام ٢٠٠٣ ،.

ويمكن القول أن الهجوم الاستيطاني يأخذ مداه الأوسع في مدينة القدس ومحيطها في سياق مخطط تهويد المدينة الذي ،يتطلع الصهاينة إلى استكماله عام ٢٠١١ ،حيث كشف عن مخطط لضم ١٢ ألف دونم من أراضي السواحرة الشرقية وأبو ديس إلى مستوطنة معاليه أدوميم ،و بناء ٦ آلاف وحدة سكنية في مستوطنة كيدار ومحيطها ، من أجل خلق تواصل أستيطاني بين معاليه أدوميم والقدس ، وقطع التواصل الجغرافي بين شمال الضفة الغربية وجنوبها ، وعزل القدس عن باقي أنحاء الضفة .

وقد جرى الحديث عن إطلاق مشروع واسع النطاق ، لتهويد ،القدس الشرقية، ، من قبل جمعية صهيونية غير حكومية ، بإقامة ٩ منتزهات توراتية ،حول المدينة القديمة ،تحت اسم ،مدينة داوود، بهدف طمس الطابع العربي والإسلامي للمدينة ،وترسيخ موقعها كعاصمة للكيان الصهيوني ،وتبديل واقع

المدينة المقدسة القائم بشكل جذري ،عبر هدم مئات المنازل للسكان العرب بحجة عدم الترخيص ، وهو يحيط سور المدينة ب ٦١ كنيساً يهودياً ،ومساحات خضراء،بين البؤر الاستيطانية ،ويبدأ من جنوب شرق المدينة من جبل صهيون إلى سلوان وجبل الزيتون ،ويدور حول أسوار المدينة القديمة ،وحتى جبل المشارف ،وصولاً إلى معاليه أدوميم .وقد قامت سلطات الاحتلال بتسليم إخطارات هدم ٨٨ منزلاً في حي البستان بسلوان وهدمت بعض المنازل في هذا الحي ،وفي الشيخ جراح وفي بيت حنينا وشعفاط ،وفي جبل المكبر ، وسلب بعضها من قبل قطعان المستوطنين ،والتي أقام أصحابها الخيام في العراء في الشارع .

هذا في الوقت الذي تواصل فيه السلطات الصهيونية حفر الأنفاق تحت المسجد الأقصى المبارك ،والتي تكاد تودي إلى انهياره ، وتوسع الساحة أمام الحائط الغربي(حائط البراق) وتقيم فيها مركزاً للأمن الصهيوني وكنيساً يهودياً، يواصل المتطرفون الصهاينة اقتحاماتهم ومحاولاتهم تدنيس الأقصى، والتي يتصدى لها المقدسيون وأبناء شعبنا الفلسطيني .وقد كثف المستوطنون الذين يمثلون الأداة السوداء في يد هذه السلطات في الأشهر الأخيرة ،من اعتداءاتهم وجرائمهم في القدس وأنحاء الضفة الغربية ،من حرق المحاصيل وقطع أشجار الزيتون ،وصولاً إلى حرق المساجد ، كما حصل مؤخراً في مسجد ياسوف قرب سلفيت . وتواصل السلطات الصهيونية بناء الجدار العنصري وتعزل عشرات القرى الفلسطينية خلفه .

ولم يكن السعار الاستيطاني الصهيوني مقصوراً على القدس والضفة الغربية ،بل طال الأرض المحتلة عام ١٩٤٨ أيضاً، حيث استمر التضييق على السكان العرب في النقب والجليل ، واستمرت عمليات هدم المنازل بحجة عدم الترخيص ،الذي تمنعه السلطات الصهيونية عن العرب ،وقد أخطرت السلطات الصهيونية ألوف العائلات العربية من بدو النقب ،بإخلاء منازلهم لهدمها ،بحجة عدم الترخيص ،ولوجودها قرب قواعد الرادار والقواعد الجوية الصهيونية ، وتهدد هذه السلطات بهدم٧٥ ألف منزل للبدو في النقب .

عام التشريعات العنصرية الصهيونية،

ضد العرب في الأرض المحتلة عام ١٩٤٨ ،التي تستهدف حرمان هؤلاء العرب من حقوقهم كمواطنين مقيمين في أرض وطنهم ، وطن آبائهم وأجدادهم منذ آلاف السنين.ففي مطلع حزيران ٢٠٠٩ طرح إيلي يشاي وزير الداخلية الصهيوني (زعيم حركة شاس) تعديل قانون المواطنة بحيث تعاد لوزير الداخلية صلاحية نزع مواطنة، سكان إسرائيل ،(والمقصود هم العرب) دون مصادقة المستشار القضائي للحكومة .وبموجب هذا التعديل المقترح يمكن لوزير الداخلية ، نزع حق المواطنة من أي شخص لأسباب سياسية أو أيديولوجية ،وحسب النص المقترح تنزع المواطنة ،إذا اقتنع وزير الداخلية بأنه يعمل ضد الشعب اليهودي ،أو ضد دولة إسرائيل كدولة الشعب اليهودي ،أو ضد كون دولة إسرائيل دولة يهودية وصهيونية وديمقراطية ،. وهذه تهمة يمكن أن توجه لكل العرب في الكيان الصهيوني لأي رأي أو قول أو تظاهر ،أو فعل . وهي تستبطن نزع المواطنة عنهم ،وترحيلهم عن أرض وطنهم .

وكذلك مشروع تعديل ،قانون المواطنة ودخول إسرائيل ،وترخيص الإقامة في إسرائيل ،وتصريح المكوث في إسرائيل ، . وبحسب الشرح الملحق بهذا التعديل ،يعتبر جميع العرب معادين ،لدولة إسرائيل، ويشكلون خطراً عليها ،وأن زواجهم هو مؤامرة ضد ،طابع إسرائيل اليهودي،،وبالإجمال فهو ضد لم شمل الأزواج والزوجات العرب من خارج ١٩٤٨ ، وضد إقامة العرب في الكيان الصهيوني ومن أجل تهجيرهم .

كما طرح مشروع قانون المواطنة (تصريح الولاء) من قبل حزب يسرائيل بتيتو الذي يتزعمه افيغدور ليبرمان وزير الخارجية الصهيوني ، الذي يضيف شرط التصريح بالنص التالي لمن يريد الحصول على المواطنة ،،ألتزم بالإخلاص لدولة إسرائيل كدولة يهودية وصهيونية وديموقراطية ،ولرموزها وقيمها ، وخدمة الدولة كلما طولبت بذلك ،بخدمة عسكرية ،كدلالاتها في قانون خدمة الأمن ١٩٨٦ أو بخدمة بديلة تندرج في القانون ، . ويمنح القانون وزير الداخلية صلاحية نزع المواطنة عن من لم يستوف التزامه بموجب هذا التعديل ،لكن أغلبية الوزراء في الحكومة الصهيونية عارضت طرحه ،ويبقى لأعضاء الكنيست الذين طرحوه ، حق طرحه كقانون خاص ، كما قدم مشروع قانون يطلب الربط بين منح الهوية وتصريح الولاء .

و طرح مشروع قانون سجل السكان ،و الذي يربط بين الولاء والحصول عل الهوية ،وأن يوقع طالب الهوية على التصريح التالي ،ألتزم بأن أكون موالياً لدولة إسرائيل كدولة يهودية وصهيونية وللمبادئ الواردة في إعلان دولة إسرائيل،ولعلم الدولة والنشيد الوطني،والتزم بالقيام بالخدمة الإلزامية أو بخدمة بديلة كما يحددها القانون ، وكما هو واضح فإن طرح هذه المشروعات التي تستهدف المواطنين العرب ،توازى مع الطروحات السياسية الصهيونية العنصرية حول ،يهودية الدولة ، الصهيونية.

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تجاوزها إلى محاولة إلغاء الذاكرة الفلسطينية ،من خلال طرح مشروعات قوانين تمنع الفلسطينيين من إحياء ذكرى النكبة ،كمشروع ،تعديل قانون يوم الاستقلال-حظر إحياء يوم النكبة أو اعتبار إقامة الدولة إسرائيل كيوم حداد ، ،وهو يحظر أي ،نشاط أو حدث أو التطرق إلى إعلان الدولة كيوم حداد تحت طائلة الحكم بثلاث سنوات ، .وقد صادقت اللجنة الوزارية لشؤون التشريع على طرح هذا المشروع ، الذي وصفته بعض الصحف الصهيونية بالعنصري والمناهض للديمقراطية (هارتس٩/٥/٢٠٠٩) .

كما طرحت مشاريع قوانين تتصل بمنع نواب العرب من الترشح للكنيست مثل : (مشروع قانون الأساس الكنيست- تصريح ولاء عضو الكنيست) الذي يلزم العضو بالقسم بالولاء ،لدولة إسرائيل كدولة يهودية وديمقراطية ، ،ومشروع قانون انتهاء ولاية عضو الكنيست بسبب ،رفضه وجود إسرائيل كدولة يهودية وديموقراطية ، ،والذي تتخذه لجنة الكنيست وتصادق عليه المحكمة العليا. وهناك أيضاً تعديل قانون خدمة الأمن، الذي يلزم من لم يخدم بدفع ١٪ من دخله السنوي ،و يستهدف المواطنين العرب الذين لا يؤدون الخدمة العسكرية .وكذلك مشروع قانون التعليم الرسمي ، والذي يفرض، ثلاث ساعات في الأسبوع لتدريس تاريخ أرض إسرائيل وتاريخ دولة إسرائيل والصهيونية ،والذي يرمي إلى فرض الأضاليل الصهيونية على العرب . ولا يتسع المجال للتفصيل أكثر حول محاولات التضييق السياسي العنصري الصهيوني على عرب١٩٤٨ .

وفي هذا العام المنصرم الذي بدأ خلال الحرب الإجرامية القذرة على قطاع غزة ،استمر الحصار الوحشي ،الذي أوصل الأوضاع الإنسانية في القطاع ، إلى حد لا يطاق كما قال الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر ،واستمرت الغارات والاعتداءات والتوغلات العسكرية الصهيونية على القطاع الصامد.

Digitized by Birzeit University Library

ليفني والعدالة البريطانية... الغرب وفضيحته الصهيونية!

عبد اللطيف مهنا

إنها مجرد أزمة عابرة تمر بين من هما الأكثر من كونهما حليفين تاريخيين، كانا على الدوام من حرص على تمتين عرى تحالفهما العتيد وتوطيده، والذي بدأ منذ أن اختلق أحدهما الآخر، أو كان المساهم الأكبر في إيجاده، بحيث لا يجوز لأحد تصور أنه تحالف سيكون له ذات يوم انفصاماً.

لدينا، منذ الشهير بلفور وحتى الأخير براون، تاريخ يشهد وطابور من الساسة شواهد على هذا، لكنما حكاية ليفني والعدالة البريطانية كانت سبباً لهذه الأزمة المزعجة، وبحلها حتام ستعود مياه عتيق العلاقة الجارية إلى سابق عهدها التليد، وحتى تحل، استحقت هذه الحكاية غضبة صهيونية تعدت أصداؤها حدود العتب حيث لامست حد الوعيد، وحتى صريح التهديد... من الآن فصاعداً لا دور سيكون لكم أيها البريطانيون في ملهاة ما تدعى "عملية السلام"، هذه التي ما أن تموت حتى تبعث حية لتموت، والتي مسرحها ما أطلقتم أنتم قبل سواكم عليه "الشرق الأوسط"... وأكثر من هذا، جمع الجامعون من غيارى الكنيست التواقيع الداعية لمقاطعة البضائع البريطانية عقاباً على هذه الهفوة التي بدت وكأنما هي عندهم لا تغتفر... والبقية سوف تأتي!

البريطانيون في حرج عظيم، والرسميون تحديداً أسقط في يدهم، وقعوا بين مطرقة غضبة الحليف الخارج عن طوره وسندان استقلالية قضائهم، وعلى عدالتهم المبجلة حل ما أوقعتهم فيه قوانينها، وعليها تقع مسؤولية استنان ما فيه المخرج. والبريطانيون كانوا دائماً أهلاً لهكذا مهمة، وظلوا بالنسبة لسواهم سيداً لن اجتهد أو احتال في مثل هكذا حال!

مشكلة الصهاينة أن صانعيهم في الغرب عموماً قد عودوهم على أنهم دائماً في موقع من يظل في إصبعهم خاتم سليمان، يطلبون فيستجاب لهم، ويتجاوزون كل الحدود فتفتح لهم، ويرتكبون ما لا يرتكب فيغفر لهم... حتى بلغوا حدود العصمة الغربية ومنزلة ما فوق المساءلة كونياً ومستوى من هو فوق القوانين والأعراف والمواثيق والذي لا تطاله حدودها، أو من هو من لا تجرؤ عدالة حتى على مجرد ارتكاب شبه الإدعاء عليه... ومشكلة البريطانيين، الذين أسهموا في صناعة هذه المشكلة الصهيونية وترسيخها، أنهم لهم قضاء فاخروا العالم باستقلاليته العريقة، وأنه بموجب قوانين هذا العريق، فإن ما يعادل ربع أعضاء الكنيست الغاضب على ما تدعوه خارجية الكيان الصهيوني "السخافة" القانونية البريطانية، وكل الضباط الذين هم ما فوق رتبة رائد في جيش العدوان الصهيوني، وأكثر الزعماء الحاليين البارزين على المستويين السياسي والأمني، هم مجرمو حرب مطلوبون للعدالة ذات "السخافة" القانونية هذه، والأدهى هو أن جرائمهم موثقة بالصوت والصورة والشهود عليها هم عالم بأسره بحيث لا يمكن السكوت عليها... ومشكلتهم ومشكلة الصهاينة معاً، هو أنه لا حصانة وفق القانون الدولي إلا لمن هو في موقع رئيس الحكومة ووزير الحرب والعاملين لا السابقين... لذا شنوا حملة توبيخ دبلوماسية واسعة النطاق ضد ما دعوه "السخافة" القانونية البريطانية، وطالبوا عرابهم العتيق بتغيير قوانينه... كانوا حازمين جازمين. أول ما فعلوه هو أن استدعوا السفير البريطاني ليوبخوه لعدم وفاء بلاده بوعود سابقة قطعت لهم بتغيير القوانين التي تسمح بمحاكمة مجرميهم الأفذاذ، وإبلاغه بمقاطعة المسؤولين الصهاينة لزيارة بريطانيا، وسفيرهم في لندن أكمل المهمة، فأبلغ وزير الخارجية ميليباند احتجاجهم وطالب بالعمل على هذا التغيير فوراً. هذا رسمياً، أما إعلامياً، فحدث ولا حرج... لكنما الأطرف هو ما تقوله المعنية بالأمر، على الأقل في هذه المرة، السيدة ليفني، التي كان والدها عضو منظمة "الأرغون" الإرهابية الصهيونية هو بدوره مطلوباً للقوانين البريطانية إبان الانتداب البريطاني على فلسطين... الانتداب الذي نجم عنه إنشاء الكيان الصهيوني... وليفني، التي تفاخر بما ارتكبته وليس فقط لا ترى فيه بأساً، والتي وصل الأمر بها لأن تذكر البريطانيين أن عليهم محاكمة ضحاياها وليس هي، ذلك عندما أخبرتهم بأن "الوقت قد حان لتقديم الإرهابيين للمحاكمة وليس من يحاولون وقف الإرهاب وجلب السلام للمنطقة"... وقالت لهم، بمنطق صهيوني أصيل: إن الحرب الإبادية على غزة كانت "ضرورية"، وصارحتهم من موقع المعصوم أن هدفها مما ارتكبته ما هو إلا "استعادة قدرة الردع الإسرائيلي"، وإنها قد "أفلحت فعلاً"!!!

البريطانيون، الذين ما انفكوا يؤكدون على "الشراكة الإستراتيجية" مع حليفهم الغاضب، سارعوا إلى الاعتذار إليه ووعدوه بـ"معالجة" قوانينهم، قالت لندن: أنها "تدرس طرق تغيير نظامها" القضائي... لكنما الورطة هي في كون قضائهم وقوانينه مستقلاً عن السلطة التنفيذية، هذه، التي اعتذرت ووعدت... اعتذر براون للعزيزة ليفني وأبلغها بأنها شخص مرغوب فيه في بريطانيا في أي وقت... ميليباند، إفيان لويس، الثلاثة تباروا في الاعتذار... بريطانيا الرسمية كلها عازمة على تغيير القوانين لكي يتمكن الحلفاء الشركاء الإستراتيجيون من زيارة بريطانيا وقتما يشاؤون... إذن، هي أزمة فعلاً غشت صفو متحالفين وشابت علائق شريكين استراتيجيين، فإلى أين يا ترى ستصل؟!

لعل من السذاجة بمكان أن نحذو حذو كثيرين منا ممن أخذتهم الحماسة إثر صدور تقرير غولدستون حول الجرائم الصهيونية في محرقة غزة، فأخذوا يستبشرون ويبشرون بصحوة ضمير عالمية، بمعنى غربية، قد بدأت وسوف يكون لها ما ورائها، وأخذوا يتصورون مجرمي الكيان الصهيوني يتقاطرون منقادون الواحد خلف الآخر للمثول أمام العدالة

الكونية... لكن لم تلبث وأن خبت جذوة حماس المتحمسين ولم تطل كما نلمس الآن، ولم يعد تقرير غولدستون على أهميته مدار كثير من الحديث هذه الأيام. ثم علينا أن لا ننسى أن حكاية ليفني البريطانية قد سبقتها حكاية باراك، كما وعلينا أن نتذكر قصة اسمها محاكمة شارون في بلجيكا، وما شابه فيما يتعلق بهكذا حكايات فيما بعد في إسبانيا... والآن:

كل ما في الأمر نحن إزاء شيء أقرب إلى الفضيحة الغربية الدائمة، التي ما تكاد تُدفن حتى تفوح وتفوح عفونتها مرة أخرى... إنه الغرب الذي ينظر لنفسه بأنه مركز الكون، ومحتكر الحضارة الإنسانية، ومصدر كل القيم والقوانين والأعراف المعروفة بالدولية، أو إجمالاً الإنسانية، والذي يعد نفسه الحكم الفصل والمسؤول الأوحد عن تطبيقها، وهي جميعاً إذ تعادل مفهوماً واحداً عنده هو مصالحه ويجب أن لا تتناقض معها، فهي كانت وستظل، كما كانت منذ عهوده الاستعمارية المتواصلة على اختلاف أشكالها حتى راهناً، بمثابة هراوته التي يستخدمها بانتقائية تليدة وبما يخدم هذه المصالح ومنها "إسرائيليه"... يجب أن لا ننسى أنه أباد أربعين مليون هندي أحمر، وعشرين مليون من الرقيق الإفريقي إبان شحنهم بأصفادهم عبر الأطلسي، وقضى على أمم، وأباد حضارات الأصليين الذين غزاهم، مثل الأنكا وسكان قارة أستراليا، من أجل ذهب الأولين ويزعم تحضير التالين، وإذ نترك التاريخ يتحدث وحده ونأتي إلى الحاضر: دمر العراق أمام أعيننا باسم تحريره ودمقرطته، وأفغانستان باسم تحديثها... ماذا يعني هذا فيما يتعلق بما نحن بصدده؟

إنه ببساطة يعني أنه إذا تعارضت، ونعني قيمه أو إنسانيته، مع مصالحه فلسوف يجري لها جاري ما جرى للعدالة البريطانية وقبلها البلجيكية والإسبانية، وما قد يلي. فهو وحده، باعتباره صاحبها، الذي له وحده امتياز حق إشهارها أو تطبيقها أو إهمالها، وهذا فقط وقتما يشاء وأنى يشاء وعلى ما يشاء والمعيار هو ذاته، المصالح... وعليه، ليفني ليست قلقة لأنها تعلم علم اليقين بأن براون لديه وسيلة الإقناع الناجعة التي سوف يواجه بها العدالة البريطانية، وترى أنه حتام سوف يقنعها بأن لا تدق مطرقتها بما يهدد قيمه القيم وسيدة القوانين والمواثيق الدولية عند الغرب... المصالح... المصالح، هذا الكيان الصهيوني ومجرموه استثمار من استثماراتها!

احتجاجات المستوطنين وحكومة نتنياهو: تنافس في حلبة التطرف والإرهاب

مأمون الحسيني

لا يمكن اعتبار مسرحيات الاحتجاج التي ينفذها المستوطنون الصهاينة في الضفة الغربية المحتلة، بدعم من بعض الوزراء وأعضاء الأحزاب اليمينية، بما فيهم حزب "الليكود" الذي يتزعمه رئيس الوزراء، عبر الهجوم على قرار بنيامين نتنياهو تجميد الاستيطان جزئياً في الضفة الغربية، والاعتداء على العديد من البلدات الفلسطينية، بمثابة حالة شاذة في الكيان الصهيوني الذي تعرضت حكوماته المختلفة، ومنذ العام ١٩٤٨، إلى اتهامات، من قبل قوى اليمين الديني والصهيوني، بالتفريط والتنازل عما يعتبروه "أرض إسرائيل الكاملة" أو "التوراتية"، وإن كانت الحالة الراهنة متخمة بالتصنع والابتذال، كون قرار تجميد الاستيطان الجزئي والموقت لمدة عشرة أشهر فقط ولمرة واحدة، لا يطال مدينة القدس وجوارها، ولا ما يسمى "الممتلكات العامة"، فضلا عن مواصلة البناء في ثلاثة آلاف وحدة سكنية استثنيت من قرار التجميد، وارتفاع منسوب البناء في المشاريع الاستيطانية الخاصة، وفق ما أفادت حركة "السلام الآن"، ناهيك عن الخداع الممارس في مراقبة عمليات "التجميد" بعد رفض وزارتي الداخلية (شاس) والبيئة (ليكود) فرز مراقبين لأداء هذه المهمة، وقيام المستوطنين بطرد المراقبين الحكوميين من الوزارات الأخرى.

ومع أن من الخفة التعاطي بجدية مع التقسيم الدارج للأحزاب الصهيونية ما بين قوى يمين ويسار، ليس فقط بالمعنى الإيديولوجي الطبقي، وإنما كذلك وفقا لمواقف ومقاربات هذه القوى للصراع مع العرب والفلسطينيين والحلول التسووية، إلا أن ذلك لا يلغي حقيقة أن الحكومة الحالية هي أكثر الحكومات تطرفا وعنصرية في تاريخ كيان العدو وفق معطيين أساسيين: الأول، ضمها لقوى ورموز وشخصيات تجاهر بعنصريتها وعدوانيتها. والثاني، يتعلق برؤاها وتوجهاتها وبرامجها الساعية إلى استكمال تصفية القضية الفلسطينية، عبر الانقلاب الكامل على مرجعيات التسوية التي وافقت عليها الحكومات السابقة، ومواصلة عمليات الاستيطان والتهويد، ولا سيما في مدينة القدس التي يعمل على إخراجها نهائيا من دائرة التداول السياسي كونها "العاصمة الأبدية لإسرائيل"، واستكمال بناء جدار الفصل العنصري، ومطالبة الفلسطينيين والعرب بالاعتراف بالكيان الصهيوني كـ"دولة يهودية"، وأخيرا عرض وقف الاستيطان، موقتا، وبالاستثناءات والاشتراطات المعروفة، للالتفاف على الموقف الأميركي (والدولي) الذي كان يطالب بوقف الاستيطان، بكافة أشكاله كونه "غير شرعي وغير قانوني"، وللالتفاف كذلك على جنوح بعض الفلسطينيين نحو التوجه إلى مجلس الأمن الدولي لترسيم حدود "الدولة الفلسطينية المستقلة" على حدود الرابع من حزيران/يونيو ١٩٦٧.

البعد الآخر في رؤى وبرامج حكومة نتنياهو التي تحاول السير عكس سير الرياح الإقليمية والدولية المتجهة بقوة نحو تغيير موازين القوى العالمي بعد انفجار بركان الأزمة المالية العالمية، وارتداداتذلك على الاقتصاد الأميركي الذي يمر بأزمة تكاد تشبه أزمة الركود عام ١٩٢٩، وتراكم الإخفاقات الأميركية التي تسببت بها سياسات إدارة بوش السابقة، سواء في أفغانستان أو العراق، أو حيال الملف النووي الإيراني، ناهيك عن انحسار القدرة على التأثير في العديد من دول العالم. هذا البعد يتصل اتصالا وثيقا بهذه المتغيرات، ولا سيما على الصعيد الإقليمي الذي يشهد متغيرات غاية في التعقيد، إذ في خضم الفوضى العارمة، والمعارك المشتعلة ما بين بعض العرب، وداخل العديد من الدول والمجتمعات العربية، وعلى

Digitized by Birzeit University Library

إيقاع إعادة صياغة التحالفات، كان منسوب المخاطر التي تطلق هواجس الوجود في الكيان الصهيوني، في ارتفاع مستمر، ولا سيما بعد النتائج التي خلفها عدوان تموز/ يوليو ٢٠٠٦ على لبنان، وانكشاف الداخل الصهيوني على صواريخ "حزب الله"، حيث بدا جليا أن ثمة خطرا وجوديا وازنا يجثم على حدود الدولة الشمالية ترتفع وطأة تهديده باستمرار.

ضمن هذا الدائرة يمكن وضع التهديدات الصهيونية للحكومة اللبنانية الجديدة التي شرعت المقاومة وسلاحها، واعتبارها، وفق تهديد وزير الحرب ايهود باراك، المسؤولة عن أي تدهور على الحدود. وحيثية ذلك، لدى باراك وغيره من المسؤولين الصهاينة، هي أنه أصبح بحوزة "حزب الله" اليوم ترسانة من الصواريخ بعيدة المدى اكبر من تلك التي كانت لديه خلال العدوان الصهيوني الأخير على لبنان في تموز ٢٠٠٦، وبالتالي، فإن تل أبيب لن تقبل بالمعادلة التي تكون فيها "دولة عضو في الأمم المتحدة وبداخلها مليشيا مسلحة بحوزتها أكثر من ٤٠ ألف صاروخ وبنفس الوقت لها أعضاء في البرلمان ووزراء في الحكومة". ما يعني أن تل أبيب التي "تتابع ما يجري في لبنان، لاسيما إمكانية إدخال منظومات تخل بميزان القوى الراهن في المنطقة"، تعد العدة لعدوان جديد يصعب التكهن بزمانه وحدوده الجغرافية. وما يرجح هذا التقدير المفتوح على مصراعيه، هو أن كيان العدو يجد نفسه محكوما بهذا العدوان، سواء تسلح "حزب الله" وازدادت قوته، أو توقف عن ذلك واكتفا إلى الاهتمام بالقضايا اللبنانية الداخلية. إذ، في الحالة الأولى، لا يمكن لهذه الدولة الوظيفية التي تشكل مخلب القط الاستراتيجي لطواغيت المال والنفط والأسلحة في الغرب أن تقبل بأي تهديد استراتيجي لوجودها، وهي ملزمة، ضمن إطار ماهيتها ووظيفتها، بأن تضع حدا لأية قوة عسكرية متنامية في المنطقة، فكيف الحال وهذه القوة تنمو وتكبر على حدودها الشمالية. أما في الحالة الثانية، فإن التجربة والمنطق والمصلحة الصهيونية تفترض استغلال الضعف على الجبهة الشمالية، وتوجيه ضربة قاصمة تعيد صياغة الخريطة السياسية والأمنية، ليس في لبنان، وإنما أيضا في مناطق الجوار، بما يعيد إحياء أحلام "الشرق الأوسط الجديد" الذي كانت بشرت به وزيرة الخارجية الأميركية السابقة إبان عدوان تموز/ يوليو على لبنان.

في كل الأحوال، هذه البيئة الإقليمية التي تعكس، بشكل أو بآخر، واقع الحراك على المستوى الدولي، كان يقابلها في الداخل الصهيوني متغيرات هيكلية، على المستويين المجتمعي والسياسي. وقد بدأ تحسس هذا الأمر جليا منذ طرح رئيس الوزراء الأسبق أرييل شارون خطة فك الارتباط أحادي الجانب عام ٢٠٠٣ والتي أفضت إلى تفكيك مستوطنات قطاع غزة. حيث بدا، حينذاك، أن نفوذ القوى الأكثر تطرفا ويمينية، سواء داخل "الليكود" الذي كان ينتمي إليه شارون قبل تأسيسه حزب "كاديما" الذي حمل برنامج "الانسحاب الأحادي الجانب، أو في صفوف قوى اليمين السياسي الأخرى في الكيان، لم يكن قد تصاعد بشكل ملحوظ ما جعل الانسحاب من مستوطنات غزة ممكنا. غير أن تداعيات العدوان الصهيوني على لبنان، وتراجع ثقة الرأي العام في مؤسسات الدولة والساسة، وترافق ذلك مع الكشف عن العديد من قضايا الفساد السياسي، والتي كان أبرزها قضية خصخصة بنك ليومي التي تورط فيها رئيس الوزراء الصهيوني السابق أيهود أولمرت. كل ذلك ساهم في تصاعد نفوذ تيارات اليمين الديني المتشدد في الكيان، ودلالة ذلك تكمن في تصاعد وتيرة التظاهرات الاحتجاجية لناشطي الاستيطان المتدينين في الضفة الغربية، وزيادة أعضاء الكنيست من المنتمين لأحزاب اليمين الديني، وتغلغل ذلك التيار المتشدد في الجيش الصهيوني والمؤسسات البيروقراطية على السواء، ناهيك عن تبني قطاعات واسعة من الرأي العام لأطروحات قياداته حول عملية التسوية، وأمن الكيان، بعدما كان ينظر إليها على أنها حدية ومتطرفة ولا تحقق سوى مصالح المستوطنين.

وتشير المعطيات الرقمية الراهنة إلى أن الوزن الديمغرافي للمستوطنين المتشددين، وأنصار اليمين الديني، بات لا يمكن تجاهله على المستوى السياسي، حيث تجاوز عدد المستوطنات الصهيونية في الضفة الغربية ١٤٥ مستوطنة يقطنها حوالي ٣٠٠ ألف نسمة، يمثلون حوالي ٤ ٪ من عدد السكان بعدما كان عددهم لا يتجاوز ١٠٥ ألف نسمة عندما تم توقيع اتفاق أوسلو عام ١٩٩٢. وخلال تلك الفترة نجح المستوطنون في تعزيز عزلتهم عن المجتمع الصهيوني بتدشين مدارس وجامعات تقوم على المزج ما بين التعاليم الدينية والتدريب العسكري. كما قام المستوطنون بإنشاء قوات أمن خاصة لحماية مستوطناتهم تم تدريبها في وحدات الجيش وخضعت لإشراف حاخامات وثيقة الصلة بالمنظمات الناشطة في مجال الاستيطان مثل جمعية "العاد" الاستيطانية.

ووفق المعطيات إياها، فإن المد الديني المتطرف لم يقتصر على قاطني المستوطنات، وإنما تجاوز ذلك ليطال تأييد قطاعات

مختلفة من يهود الكيان، فيما حققت قوى اليمين الصهيوني والديني، في الآونة الأخيرة، قفزة غير مسبوقة، حيث لم تتمتع هذه القوى، وطوال العقود الستة الماضية، بأغلبية برلمانية تماثل تلك التي استحوذت عليها في انتخابات الكنيست الثامنة عشرة عام ٢٠٠٩، إذ من بين ١٢٠ مقعدا، هي إجمالي عدد مقاعد الكنيست، شغلت أحزاب اليمين حوالي ٦٥ مقعدا، من بينها حوالي ٢٧ مقعدا لأحزاب اليمين الديني، ما يمكنهم من عرقلة تمرير أي قرار داخل الكتلة البرلمانية للائتلاف الحاكم المكون من ٧٥ عضوا بالكنيست ينتمون لأحزاب اليمين واليمين الديني وحزب العمل كممثل لتيار يسار الوسط. وبدا أن حزب الليكود الذي يتزعمه رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو بدأ يعتمد بشكل أكبر على دعم المستوطنين، وهو ما تجلى في تصاعد تأييد المستوطنين المتدينين له في انتخابات الكنيست الأخيرة، ليصل إلى حوالي ٢٣ ٪ في مقابل ١٢ ٪ في انتخابات عام ٢٠٠٦.

وعلى الرغم من أن هذا التغير في خريطة مؤيدي الليكود كان ينبغي أن يفرض على الحزب رزمة من القيود، وهو ما بدا جليا في قضية "التجميد المؤقت" للاستيطان، إلا أن ذلك يستخدم سياسيا ودبلوماسيا، من قبل نتنياهو، في مواجهة المطالبة الأميركية والدولية بوضع حد لعمليات الاستيطان، حيث يتم التذرع بعدم القدرة على مواجهة المستوطنين، ولا سيما في ظل حساسية هذه الكتلة البشرية المتنامية تجاه أي حديث يتعلق بإمكانية وقف أو تجميد أو إرجاء جزئي لعمليات الاستيطان، حتى ولو كان ذلك مجرد ضريبة كلامية لا تقدم ولا تؤخر، وذلك اتكاءا على سوابق تاريخية كان خلالها صقور اليمين يتربعون على سدة السلطة، مناحيم بيغن الذي "تنازل"، وفق الذرائع إياها، عن سيناء المصرية، وإسحق شامير الذي قرر سابقة الانسحاب الكامل حين أعاد طابا لمصر، وأرييل شارون الذي أخلى مستوطنات قطاع غزة، وفق مبدأ الانسحاب الأحادي الجانب، كما يتم التذرع، كذلك، بالخشية من انهيار الائتلاف الحكومي، والذي سيستدعي الدعوة لانتخابات مبكرة لن تأتي نتيجتها، بأي حال، لصالح حزب الليكود، على غرار ما حدث بعد تخلي اللوبي الاستيطاني في الكنيست عن نتانياهو بعد توقيعه لاتفاقية واي ريفر عام ١٩٩٩ وإصداره لأمر إخلاء مستوطنة عبرون في الضفة الغربية. ولعل ما يزيد الأمر تعقيدا هو نجاح التيار الاستيطاني الديني في استقطاب عدد من قيادات الإدارة المدنية والمحلية لتيسير استصدار تراخيص بناء المستوطنات، وتخصيص الأراضي التي تخضع لملكية الدولة للأغراض الاستيطانية. وفي هذا الإطار يطرح "القانون المقدس" الذي يروج له الحاخامات في مواجهة القانون الوضعي للدولة الذي يعوق في بعض الأحيان النشاط الاستيطاني "الإسرائيلي".

وهكذا، ومع أن هذه الذرائع، والاقتراح السويدي الذي غاب عن قرار الاتحاد الأوربي الأخير الخاص بالقدس والأراضي الفلسطينية المحتلة، شكلت الإطار الذي احتضن قرار الحكومة الصهيونية "الاحتيالي" حول تجميد الاستيطان المشروط لمدة عشرة أشهر، والذي قال عنه الوزير الليكودي بيني بيغن إنه ليس "تجميدا" كاملا للبناء بمعنى الكلمة، بدليل البدء ببناء ثلاثة آلاف منزل لاستيعاب عشرة آلاف مستوطن سينتقلون إلى هذه الوحدات السكنية خلال العام المقبل. إلا أنها، في الواقع الملموس الذي يدب على الأرض، كانت تستبطن توجها أشمل وأكثر عمقا للكيان الصهيوني الذي يتجه نحو مزيد من التطرف والعنصرية وفرض نظام الأبارتايد، ليس فقط على صعيد السياسة المتبعة حيال الفلسطينيين، سواء على صعيد التهويد ومصادرة الأرض والمنازل العربية وسحب الهويات، ومصادرة الحقوق المدنية، وتغيير معالم القدس المحتلة، أو في نطاق التشريع والتنفيذ، ووأد أية إمكانية لتسوية سياسية مقبلة، وإنما أيضا لجهة الهرولة باتجاه إسقاط القناع العلماني المتكلف، وفق ما يقول جدعون ليفي في "هآرتس"، الذي تتلفع به أغلبية الصهاينة، وغذ الخطا نحو "الدولة اليهودية"، ليس بالمعنى السياسي الذي يستلزم اتخاذ إجراءات معينة ضد الفلسطينيين وجغرافيتهم، بل كذلك بالمعنى الديني التوراتي الشرعي الذي دعا إليه وزير العدل يعقوب نئمان قبل مدة وجيزة.

دلائل وتجليات هذا التوجه كانت عديدة ومتنوعة في الآونة الأخيرة، بدءا بمسرحية "تجميد" الاستيطان في الضفة الغربية الذي قالت "حركة السلام الآن" إن حجم البناء الجاري في ظله يفوق البناء داخل الخط الأخضر، ناهيك عن انتظار الفرصة المناسبة لهدم ٢٠٠ منزل فلسطيني في القدس الشرقية صدرت بحقها أوامر قضائية في إطار سياسة التطهير العرقي المنهج في المدينة المقدسة، ومرورا بقرار الحكومة تخصيص اعتمادات بقيمة ٢٨ مليون دولار للعديد من المستوطنات في الضفة الغربية، ومن بينها مستوطنات نائية، مثل "ألون موريه" و"تاكوع" و"كوخاف يعكوف" و"أرئيل" و"نوكديم". ما يعني، وبعيدا عن التفسيرات المتسرعة حول محاولة نتانياهو التخفيف من وطأة "التجميد المؤقت" على المستوطنين، أن من شأن المستوطنات الهامشية، وعبر الامتيازات، أن تصبح مراكز سكانية جديدة، بعد انتهاء فترة التجميد، وأن تطالب لنفسها بمكانة شبيهة بمكانة "الكتل الاستيطانية"، لتندرج، بعد ذلك، في خريطة "إسرائيل الجديدة" التي ستبتلع الأكاذيب المتعلقة بإمكانية الموافقة على دولة فلسطينية ما. وصولا إلى تصويت الكنيست، بالقراءة الأولى، على ما سمي "قانون الاستفتاء الشعبي" الذي يقيد الحكومة والكنيست، في حال تم إقراره بالقراءتين الثانية والثالثة، ويمنعهما من تمرير أي انسحاب من الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة دون موافقة وتأييد ٨٠٪ من المواطنين، أي كل اليهود "الإسرائيليين"، باعتبار أن نحو ٢٠٪ من الناخبين هم مواطنون عرب فلسطينيون لهم حق التصويت.

وفي مقابل هذه الإجراءات الحكومية، كان المستوطنون ومنظماتهم يواصلون تصعيد اعتداءاتهم ضد الفلسطينيين تحت شعار "جباية الثمن"، أي ثمن "تجميد" الاستيطان الجزئي المشروط، حيث شملت هذه الجباية حتى الآن، إضافة إلى حرق مسجد قرية ياسوف الواقعة شرق مدينة سلفيت، عمليات طعن للفلسطينيين، وحرق أشجار، وقطع طرقات، فيما بدأ العديد من المنظمات وعصابات المستوطنين المتطرفة بإشهار ذاته، أو إعادة إحياء كيانيته التي توارت في الظل خلال السنوات الماضية، وذلك بتأييد ومساندة عدد من الحاخامات، من نمط حاخام مستوطنة "يتسهار" يوسف إليتسور الذي كتب مقالة في صحيفة يمينية أبدى فيها تأييده للاعتداءات

Digitized by Birzeit University Library

على الفلسطينيين، وذلك قبل أن يخطو الحاخام الأكبر عوفاديا يوسيف، الذي يعتبر أهم مرجعية دينية في الكيان، وله حزب سياسي (شاس) يتمثل في الكنيست بـ ١١ عضو، إضافة إلى عدد من الوزراء في الائتلاف الحكومي، خطوة أوسع بكثير عندما قال، خلال درس ديني، وفقا لصحيفة "معاريف"، إن "المسلمين حمقى وأغبياء ودينهم مقرف مثلهم"، دون أن يتعرض لأية مساءلة قانونية أو سواها، رغم أن أقواله هذه تندرج في إطار التحريض العنصري والفعل الجنائي الذي يعاقب عليه القانون.

وعليه، وفيما يرتفع منسوب التدمر على المستوى الدولي، ولدى أوساط الرأي العام في العالم، من سياسات وممارسات الحكومة الصهيونية ومستوطنيها، يتصاعد المد اليميني الديني في كيان العدو على إيقاع تراجع الإدارة الأميركية عن تعهداتها المتعلقة بالاستيطان بعد لي ذراع الرئيس أوباما، ودفعه إلى زاوية البحث عن مخارج جديدة يتوقع أن تترجم على شكل مبادرة جديدة يجري وضع لمساتها الأخيرة، وتحت ظلال الأوضاع الإقليمية الرجراجة التي يرى خبراء صهاينة أنها ترتكز على بعض "الحقائق" الجغرافية- السياسية، من نمط التقدير بأن الفلسطينيين، بذاتهم، لا يشكلون خطرا جديا على الكيان الصهيوني، إذ ليس بوسعهم المس بهذه الدولة، شريطة تمكنها من تطوير نظرية المواجهة التي تتناسب وسيناريوهات الصدام على أنواعها. أما التهديد بـ "دولة واحدة للشعبين" فليس سوى هذيان أو محاولة لفرض الرعب على الصهاينة، ما يشجع الحكومة وأحزابها على التمترس خلف شعارات التطرف والعنصرية ورفض التسويات التي يمكن أن تحمل بعض الرتوش الدالة على الحقوق الفلسطينية والعربية، غير أن ذلك لا ينفي، وفق هؤلاء الخبراء، حقيقة أن الوضع القائم اليوم ليس قابلا للعيش، ولا سيما في ظل تشدد التطرف في الشرق الأوسط، وتعزز دور ما يسمونه "المحور الإيراني" الذي "يعرض استقرار المنطقة ونظمها السياسية للخطر، ويمس بمصالح حيوية للقوى العظمى، بما فيها الولايات المتحدة، ما يجعل التخوف من تصاعد الضغط على "إسرائيل" لتقديم تنازلات دون مقابل حقيقي، واردا وحقيقيا.

العار والجدار ....؟

حمدى قنديل

لعل خير من يعبّر عن نوس الدرك الذي أوصل نظام كامب ديفيد في مصر قلب العروبة النابض وقائدة العرب ومصر عبد الناصر إليه، هو الأخوة المصريون أنفسهم... وكنّا دائماً بانتظار أن تقول مصر كلمتها وستقولها.. فيما يلي تعيد فتح نشر مقال الأستاذ الكبير حمدي قنديل أخذته عن الزميلة "المصري اليوم".. مقال يعبّر بجدارة عن ما يقوله المصريون، بانتظار ما ستقوله مصر ... "أسرة تحرير فتح"

مؤخراً طلعت علينا الصحف بتصريح لوزير الخارجية عن سيادة مصر وأمن حدودها لم يرد فيه ذكر للجدار العازل الذى بدأت مصر بناءه على حدودنا مع غزة، وحتى لحظة كتابة هذه السطور لم تنطق حكومة مصر بكلمة واحدة عن الجدار.. ولا كلمة فى الوقت الذى يتغنى فيه النظام بأن إعلامنا حر وسماواتنا مفتوحة والمعلومات عن أى شيء وكل شيء متاحة، وبأننا لم نعد نتسقط الأخبار من الإذاعات الأجنبية.

مواصفات الجدار المصري العازل، طوله وعرضه وعمقه والمواد التى يُبنى بها، أصبحت هو جدار أمريكى إذن أقيم على أرض مصر طوعاً بموافقتها أو كرهاً بإرغامها، وأمريكا هى صاحبة مصلحة أولى فى بنائه، إذ هى تحمى به ربيبتها "إسرائيل" كما فعلت ذلك منذ قيامها وحتى سارعت مؤخراً بعد العدوان "الإسرائيلى" البربرى على غزة فى يناير.. وقتها عقدت أمريكا، قبيل انتهاء ولاية بوش، اتفاقاً أمنياً مع "إسرائيل"، قيل إن مصر رفضت الانضمام إليه وإن كانت وثيقة الصلة بكل ترتيباته، ونتائج اجتماعاته في كوبنهاجن ولندن، والخطوات التنفيذية التى أقر اتخاذها على الأراضى المصرية لمكافحة أى اختراق يهدف إلى تهريب السلاح والبضائع إلى غزة، وذلك بالتعاون مع قوة الرقابة الأمريكية الرابضة فى سيناء.

الهدف من إقامة الجدار واضح إذن، فهو يحكم الحصار المصري على غزة من الجنوب بعد أن أحكمت "إسرائيل" قبضتها عليها شمالاً وشرقاً وغرباً، بل إن الهدف - كما ورد فى تصريح خطير للمفوضة العامة لغوث اللاجئين كارين أبوزيد - هو "التمهيد لشن هجمة إسرائيلية مرتقبة على قطاع غزة"، سواء حدث هذا الهجوم أم لم يحدث، فالجدار سيئ السمعة طبقاً للمفوضة السامية الأمريكية الجنسية «سوف يزيد من صعوبة الحياة بالنسبة للفلسطينيين فى القطاع، الذين لم يعد لهم منفذ على العالم سوى بوابة رفح، بعد أن سيطرت إسرائيل سيطرة تامة على معابر القطاع الستة الأخرى».

في مصر الآن بيانات عاجلة قدمها نواب معارضون فى برلمان الحزب الوطنى يحتجون فيها على إقامة الجدار الذى اعتبروه جريمة ترتكب فى حق سكان غزة، إن لم يكن جريمة مصر الأولى هذا العام.. ففي عدوان يناير "الإسرائيلي" الذي استمر ٢٢ يوماً قتل خلالها ١٤٤٠ فلسطينياً وأصيب ٥ آلاف آخرين، وشرد ٥٠ ألفاً بلا مأوى، صمتت مصر صمتاً مخزياً على العدوان، ثم واصلت الصمت على غارات إسرائيل على حدودنا بهدف تدمير الأنفاق فإذا بقنابلها تسقط على أراضينا مرات وتهدم بيوت المصريين الحدودية مرات أخرى.

وأحكمت مصر إغلاق الحدود طوال هذا العام ومنعت قوافل المساعدات الدولية والمصرية من دخول القطاع إلا بطلوع الروح، وحالت بين الفلسطينيين والخروج منه إلا بالقطارة.. بعد كل هذا تشترك مصر مرة أخرى مع "إسرائيل" وأمريكا فى إقامة جدار يخنق اقتصاد غزة ويجوّع مليوناً ونصف مليون

فلسطيني بهدف تركيعهم لسطوة "إسرائيل"، أو استنفارهم ضد حكم حماس، وإسقاط حماس ذاتها لصالح حكم أبومازن الفاسد المتواطئ مع الغرب.. تلك هى الجريمة سواء كنا راضين عن أداء حماس أو ساخطين عليه..

مصر تتورط فى جريمة ضد الإنسانية وضد الدين وضد القيم الأخلاقية وهى تمنع- على حد قول صحيفة الإندبندنت البريطانية- وصول الغذاء وضرورات الحياة اليومية للفلسطينيين.. أن الجدار يهدف إلى منع المتسللين الأفارقة إلى "إسرائيل"، في حين أن هذه مسؤولية "إسرائيلية" بداية، وأنه إذا كانت مصر تريد التطوع بمنعهم لكان عليها أن تبنى أيضاً جداراً فولاذياً مع "إسرائيل"..

كل هذا اللغط كان يمكن لمصر أن تتفاداه لو أنها وضعت يدها على أصل المشكلة وهو الاحتلال والحصار، وعملت مع غيرها من الدول العربية والصديقة عملاً جاداً مخلصاً لإنهائهما، وسمحت بمرور الأشخاص والبضائع مروراً حراً وقانونياً ومحكماً كما يحدث فى منافذ مصر الحدودية الأخرى، وبدلاً من أن تقيم الجدار استرضاء "لإسرائيل" وأمريكا كان يمكنها أن تطالب بتعديل بنود معاهدة السلام للسماح بوجود أكبر للجيش المصرى فى سيناء، هو وحده القادر على إيقاف التهريب.

لكن مصر لا تريد عكننة "إسرائيل"، بل إنها فى إطار مخطط واسع يشمل دول الاعتدال العربية مع أمريكا دخلت فى صفقات مشينة مع الإسرائيليين، واتفاقات بعضها معلن وبعضها مبطن، آخرها الاتفاق على الجدار العازل مع غزة الذى يحاولون تسويقه الآن بحجة فضفاضة مراوغة وهى الحفاظ على أمن مصر القومى، دون أن يسألوا أنفسهم أولاً

أي أمن لمصر بالاستناد إلى "الإسرائيليين"؟

أي أمن لمصر عندما تسحب مصر نفسها- كما تقول وكالة أسوشيتدبرس- من أي دور قيادي لها في مشكلات فلسطين؟

وتفقد وزنها كوسيط فى المصالحة الفلسطينية بمعاداتها فريقاً وانحيازها للآخر؟

أي أمن لمصر ونحن نسلم حدودنا للأمريكيين؟

أي أمن لمصر بالانسلاخ عن العرب الذين ندّعى دوماً زعامتهم، وهل يمكن فعلاً أن ننزع جلدنا ونستقيل من تاريخنا ونُنسف ثقافتنا وهويتنا ونغير ديننا ونبدل موقعنا على الخريطة؟

هل أمن مصر فى حصار غزة أم أن أمنها فى فك هذا الحصار؟..

وهل تدرك مصر حقيقة تبعات هذا الجدار؟..

هل تذكر كم شوّه موقفها أثناء عدوان غزة سمعتها وكم نال من الريادة التي تزعمها لأمتها، هل تذكر المظاهرات التى خرجت محتجة على أبواب سفاراتها فى العالم كله وفي عواصم عربية عدة منها بيروت التى حوصرت فيها سفارتنا أياماً ورجمت بالحجارة؟..

ها هي بيروت تتململ اليوم مرة أخرى ويعلن رجل دولتها الرزين الرئيس «سليم الحص، غضبه.. وغدا- أجزم لكم- ستخرج فى لبنان وغيره مظاهرات حانقة.. وعندها سيطل الناعقون لدينا من جحورهم فى هبة هستيرية تتسبب فى أعاصير غضب أخرى لا قبل لمصر بها.. وقتها سنتباكى كما تباكينا أيام حرب الكرة مع الجزائر: لماذا يكرهنا العرب؟

لكننا نتناسى أن العرب، والنخبة بينهم بالذات، يعرفون عن مصر ما لا يعرفه بعض المصريين.. يعرفون أنها عندما حاربت "إسرائيل" لم تحاربها من أجل عيون الفلسطينيين وحدهم.. حاربتها أساساً لأنها خطر على أمن مصر القومى ذاته، ولأنها تدافع عن بوابتها الشرقية التى كانت المعبر الأول لكل غزاة مصر عبر تاريخها الممتد..

يعرفون أن مصر كانت هى المسؤولة عن غزة وفقاً لاتفاق الهدنة العربية "الإسرائيلية" في ١٩٤٩، وأن جنرالا مصرياً كان حاكمها الإدارى حتى ضيعت مصر- أكرر ضيعت مصر- القطاع فى حرب ٦٧ مع ما ضاع حينئذ من أراضيها..

يذكر العرب أيضاً أن معظم دولهم قطعت علاقاتها مع مصر عندما انفردت بالصلح مع "إسرائيل"، مديرة ظهرها لعمقها العربى..

يزعجهم كل يوم أن مصر تفتح أحضانها لقادة "إسرائيل" الذين يزورونها تباعاً، حتى إن رئيس وزرائها المتعجرف دُعى لإفطار فى رمضان الماضى على المائدة الرئاسية فى شرم الشيخ، يعرفون أن مصر التى قتلت إسرائيل أسراها لم تحرك ضدها أى دعوى قانونية ثأراً لهم، فى حين أن محامين بريطانيين استصدروا فى الأسبوع الماضى من محاكم لندن أمراً بالقبض على وزيرة الخارجية السابقة «ليفنى» بسبب عدوان حكومتها على غزة..

ونجدها أيضاً تطاطئ رأسها "لإسرائيل" كلما حدثت أزمة، سواء فيما يتعلق بالأسرى، أو بقتل جنودنا على الحدود، أو بهدم بيوتها فى رفح. وكما أن سياسات النظام تغيرت فقد تغير إعلامه، وأصبح طاحونة للشرشحة والهلوسة، كلما تحركت آلاتها فإنها تنضح بأسوأ ما فى المصريين.. الاستعلاء والمنّ..

واليوم، وهذه الطاحونة توشك أن تهدر مرة أخرى، يجب على العقلاء فينا أن يحذروا من أن نفكر بأقدامنا كما فعلنا عندما خطفت عقولنا مباريات الجزائر، التى يبدو أنها انتهت بسخرية الفيفا المرّة من الملف الذى قدمناه له، والأهم أنها انتهت بأزمة كان من الممكن تلافيها ليس مع الجزائر وحدها وإنما مع السودان أيضاً.

أكاد اليوم أرى أزمة تطل، سوف تكون مع الشعوب العربية جميعاً، لابد لتفاديها من صدور أمر عال بإيقاف طاحونة الإعلام قبل أن تبدأ فى الطنين، وقبل ذلك وبعده استئصال الورم الخبيث من أساسه.. إيقاف بناء جدار العار!

Digitized by Birzeit University Library

ضمن فعاليات الأسبوع الثقافي الفلسطيني الإيراني ... وفي ندوة جماهيرية في مخيم اليرموك بدمشق :

الأخ أبو موسى:

فشل الصهاينة في محاولاتهم اختلاق تاريخٍ لهم في فلسطين...
ولا يوجد لا تاريخ ولا حائط لهم فيها... ، وإنما جدراناً من الاحتلال والحقد الصهيوني.
علمنا التاريخ أن كل الغزاة الغرباء عن هذه الأرض قد اندحروا وبقي أهلها، وهذا هو مصير الصهاينة، وكيانهم إلى زوال.

ضمن الاحتفالات التي عمت الوطن المحتل والشتات الفلسطيني وعواصم العالم العربي مودعةً عام القدس عاصمة للثقافة العربية الذي بدأ بأول العام المنصرم وانتهى بانتهائه، دعت المستشارية الإيرانية إلى أسبوع ثقافي حافل في المركز الثقافي العربي بمخيم اليرموك للعائدين في دمشق امتد من ١٢ إلى ١٧ من كانون الأول المنصرم، شملت فعاليته المتعددة الندوات السياسية والثقافية، شاركت فيها عديد التيارات والشخصيات الوطنية والثقافية والفكرية، بالإضافة الأمسيات الفنية التي أحيتها الفرق الفنية الفلسطينية الملتزمة.

كما شملت فعاليات الأسبوع معرضاً للكتاب الإيراني الفلسطيني، وآخر مشتركاً للمشغولات الفنية الإيرانية والفلسطينية.

وانتهى هذا الملف الثقافي متوجاً لعام من الفعاليات الثقافية –بالمناسبة- أقيمت في طول وعرض الشقيقة سورية وبدعمها ورعايتها.

وكان أن شاركت حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح الانتفاضة قيادة وكوادر ومناضلين في فعاليات الأسبوع، مشاركتها النشطة في كافة النشاطات المتعلقة في القطر العربي السوري، وفي هذا الأسبوع الختامي بالذات شارك الأخ أبو موسى أمين سر اللجنة المركزية للحركة متحدثاً في ندوة سياسية بهذه المناسبة تمحورت حول المدينة المقدسة معنى وتاريخاً وواقعاً مفنداً المزاعم الصهيونية، وملقياً الضوء على الدور الاستعماري الغربي والبريطاني تحديداً في ما جرى ويجري لها من عمليات تهويدية مستمرة، معرجاً على طبيعة الصراع التناحري الدائر بين الأمة وجبهة أعدائها، وحيث الكيان الصهيوني المغتصب لفلسطين وما هو إلا تفصيل من تفاصيلها المشروع الغربي المعادي. ومؤكداً على دور قوى الشعب الفلسطيني والأمة العربية والإسلامية في تحريرها... فيما يلي تنشر «فتح» مقتطفات من نص حديثه الشامل..

في بداية حديثه قال الأخ أبو موسى: لقد مر الصراع العربي- الصهيوني بمراحل مد وجذر، و الكيان الصهيوني إلى زوال، التاريخ علمنا أن كل القوى الغريبة عن هذه الأرض، اندحرت وبقي أهلها، وهكذا سيكون مصير هذا الكيان العدواني ، واقتلاعه سهل إذا ما شمّر أهل الأرض عرباً وفلسطينيين عن سواعدهم.

بهذه الكلمات بدأ الأخ أبو موسى ندوته في المركز الثقافي العربي في مخيم اليرموك، ضمن فعاليات الأسبوع الثقافي للمستشارية الثقافية الإيرانية بالتعاون مع جمعية الصداقة الإيرانية الفلسطينية وفي ظلال احتفالية القدس عاصمة للثقافة للعام ٢٠٠٩ ، التي حضرها نخبة من الكادرات الحركية

والفلسطينية.

وأعاد الأخ أبو موسى التذكير بأبجديات وحقائق الصراع التي يجري تزييفها واستبدالها برزمة أساطير يضبرك على أساسها الصهاينة تاريخا وهميا. بينما يدور الصراع بين قوة ظالمة تريد استعباد العرب والهيمنة على مقدراتهم وثروات بلادهم.

وفي هذا السياق سرد الأخ أبو موسى تاريخ المحاولات الاستعمارية الغربية للسيطرة على الوطن العربي على امتداده من المحيط إلى الخليج بدءاً بحملة نابليون بونابرت مروراً بطلائع الاستعمارين البريطاني والفرنسي في القرن التاسع. وأوضح أن أطماع القوى الاستعمارية سبقت ظهور الحركة الصهيونية.

فقد كان رئيس وزراء بريطانيا (دزرائيلي) منذ عام ١٨٦٠ قد وجه نداء ليهود العالم لينتقلوا إلى فلسطين، بمعنى أن لهم مصلحة استعمارية أن يكون لهم في أرضنا هذا الجسم الغريب، ليفصل مشرق الأمة عن مغربها. ودزرائيلي نفسه صاحب مقولة إنه ليس للغرب في الشرق أفضل من الغرب. بمعنى آخر إذا أردتم أن تستعمروا وتسيطروا تحتاجون لجسم غريب يكون لكم في هذه المنطقة، لأن سكان هذه المنطقة عصيين على أن يكونوا طيعين، وأنا هنا أتكلم عن الشعوب وعن الأمم وليس عن أغلب الحكام المعروفين.

وبعد ذلك تبنّت الحركة الصهيونية بقيادة وزعامة موسسها هرتزل في مؤتمر بازل ١٨٩٧ خيار إقامة كيانهم في فلسطين من بين خيارات أخرى كانت مطروحة مثل الأرجنتين وأوغندا ومدغشقر وحتى الجبل الأخضر في ليبيا، جاءت في كتابه المسمى «دولة اليهود» ما يلي: سنشكل في الأرض الجديدة، نقطة متقدمة أمامية ضد آسيا، يقول ذلك مخاطباً أوروبا او قواها الاستعمارية الممثلة في فرنسا وبريطانيا

كانت بريطانيا أكثر حرصاً على إقامة الكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين...
فالاستعماريون نظروا لليهود كأداة لخدمة مصالحهم في المنطقة مستغلين ضعف السلطة العثمانية.

الأمر الذي يقوم الكيان بدوره فيه اليوم حيث يشكل قاعدة متقدمة لأمريكا».

وأعاد الأخ أبو موسى إلى الأذهان أنه حتى عام، ١٩٠٨ لم يكن هناك قرار صهيوني بما تدعى العودة إلى فلسطين، بل كانت بريطانيا أشد رغبة بوجود الكيان اليهودي في فلسطين لأجل حماية شرق قناة السويس، بل كان الاستعماريون ينظرون لليهود بصفتهم أداة لمصلحة محددة معروفة».

ثم تعرض الأخ أبو موسى إلى مزاعم الوجود اليهودي في فلسطين قبل بداية المشروع الصهيوني فقال: لقد كان من بين شروط بطريرك القدس صفرنيوس من الخليفة عمر

لم يذكر الرحالة شيئاً، ولم يعثر الآثاريون على اثر يتعلق بالهيكل المزعوم، أو أية آثار يهودية في فلسطين، وأقيمت كافة المؤسسات الصهيونية التي قام عليها الكيان الغاصب بمساعدة من حكومة الانتداب البريطاني

Digitized by Birzeit University Library

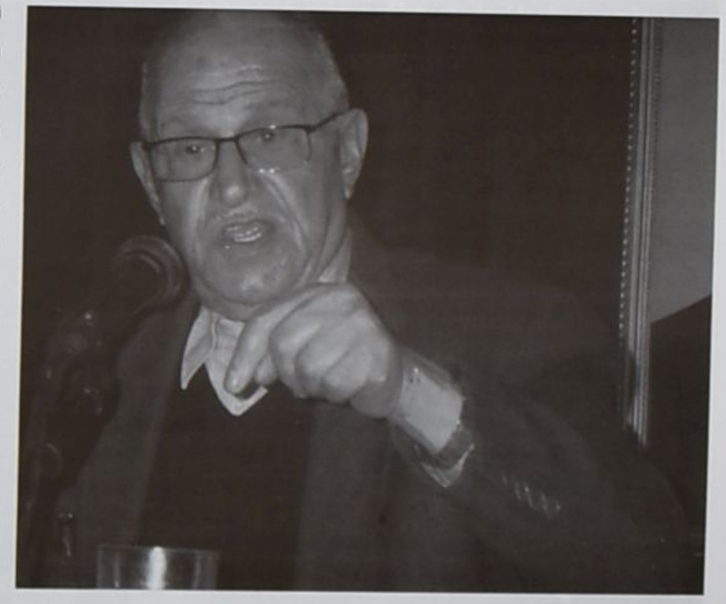

بن الخطاب ليسلم المدينة مما جاء نصاً، أن لا يساكننا أحد من اليهود»، وهذا له دلالاته بمعنى أن لا يهود كانوا في المدينة، وإلا لكان شرطه أن لا يبقى أحد منهم بيننا؛ إنه وبالعودة للعهدة العمرية، أي لم تكن هناك من طائفة يهودية فلسطينية، وما وجد فيما بعد من قلة بسبب التسامح الديني، وحول بداية وجود المستعمرات اليهودية في فلسطين.

وقال الأخ أبو موسى: إن أول ثلاثة مستعمرات بنيت في فلسطين عام ١٨٥٥هـ؛ «عتسيون، وجنوب حيفا «زخرون يعقوب، ثم «روشبينا، في الشمال، وقد استعمل اليهود كل الوسائل لسرقة الأرض، كما حدث في قرية الجاعونة – روشبينا- عندما جاء تركي ليشتريها وقال أنا مسلم ولم يقل أنا يهودي. وعام ١٨٨٢ بدأت عملية دخول اليهود ووصولهم بشكل كثيف إلى فلسطين، وساهم في ذلك ظهور تأثيرات ما يعرف بيهود «الدونما، أو من تظاهروا بالإسلام. ليخلص الأخ أبو موسى إلى أن وجود اليهود في تلك المرحلة، ليس قصوراً من الأمة، بل فرضه الاستعمار الذي هيمن على المنطقة، متمثلاً في «إمبراطوريات، قوية، ووجود دولة عثمانية ضعيفة نخرها فساد السلاطين والولاة.

وحول المزاعم اليهودية بحقهم في فلسطين، قال الأخ أبو موسى أنهم يفتشون منذ أكثر من قرن، رحلات كانت لا تنقطع من فرق الاستكشاف الثرية، منذ ١٨٥٠ لغاية خروج الانتداب من فلسطين، ولم يجدوا ما يدل على وجود الهيكل المزعوم. و٤٠ مؤسسة استكشافية أثرية، وبعد أن سيطروا الآن على القدس سيطرة كاملة لم يجدوا أي أثر لهذه المزاعم. وأضاف: ثمة رحالة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وصفوا كل شيء في فلسطين، حول القدس بالتفصيل، وكتب الرحالة ذكرت اهتمام أهل سلوان بالزراعة وغير ذلك، ولم تذكر شيئاً عن هيكل مزعوم وسواه مما وجد في الكتب والموسوعات العربية والأجنبية، فأي رحالة –تاريخياً- من القرن التاسع عشر حتى اليوم لم يذكر شيئاً عن هيكل أو آثار، لا الاثاريين ولا الرحالة ذكروا ذلك، كل من وصف البلاد ومر بها لم يذكر مطلقاً ولا أثر بالمعنى، التاريخي أو الديني لهؤلاء في القدس، وقالوا لهم حائط البراق هذا الحائط السور الغربي للمسجد الأقصى، طول ٤٧م وارتفاع ١٧م، وقال اليهود أن خشب الهيكل من الأرز وجيء من لبنان لكن الحجر الأساسي في هذا السور ضخم، يحتاج لعمالقة ليحملوه. ولننظر أكثر، فعندما جاءت بريطانيا إلى فلسطين من أجل تنفيذ وعد بلفور من خلال صك الانتداب بمعنى التكليف الذي أعطي لبريطانيا من خلال عصبة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الأولى، وعندما حدثت هبة البراق أصدروا قراراً عام ١٩٣٠، قالت اللجنة أن هذا الجدار جزء من حائط أو سور المسجد الأقصى، وهو حائط إسلامي للأوقاف الإسلامية. إذن لا وجود لحائط مبكى، وحقنا واضح.

وحول الدور البريطاني في إنشاء الكيان الغاصب قال الأخ أبو موسى: جاءت بريطانيا تأسيساً على ما تقدم لتؤسس كيانية «وطنية لليهود، عينت مندوباً سامياً وعينت مديراً للأراضي، ورليس هجرة مدعي عام، ولجنة آثار، وهكذا فتحت الهجرة المشروعة وغير المشروعة، وتم تشكيل مؤسسات وهستدروت بالتعاون مع بريطانيا إلى أن تمت الانتفاضات ذروتها عام ١٩٣٦، إلى أن حصل عام ١٩٤٧ قرار التقسيم، كانوا سكان فلسطين من العرب مسلمين ومسيحيون، أما اليهود فكانوا وبعد كافة التسهيلات الانتدابية فقط ٦٥٠ ألف في كل فلسطين، وفي القدس ادعى اليهود أنهم الأكثرية فيها عام ١٩٤٦ ليسيطروا، وأضربنا في القدس ثلاثة أيام، فكل الذين تجمعوا في فلسطين عام ١٩٤٨ سيطروا على القدس، لا توجد قدس شرقية وغربية ثمة من يعتقد أن القدس الغربية تاريخياً يهودية والشرقية

لم تكن هناك قدس شرقية ولا غربية، وإنما كانت قدس واحدة مركزها البلدة القديمة وتوسعها العمراني الذي كان في أغلبه في فترة الانتداب.

عربية، القدس الغربية هي أول حي يخرج خارج السور من الجهة الغربية هي منتفيور في آخر مراحل وجود العثمانيين.

وختم الأخ أبو موسى منوهاً: إن القدس هي التوسع الذي صار أكثره في مرحلة الانتداب، وبدأ آخر أيام العثمانيين، أي ليس منطقة يهودية، والأحياء اليهودية فيه بنيت لوحدها حوالي ١٢ حياً، وثمة أحياء عربية، كما قلنا خرجت خارج السور مثل البقعا الفوقا والتحتا، المساحة العربية كمساحة جغرافية أكثر من المساحة الجغرافية لليهود، ولكن اليهود عام ١٩٤٨، سيطروا عليها، والعربي يومها لم يكن مدرباً فيما اليهود كانوا مدربين «البالماخ، أضف إلى ذلك اختلال موازين القوى بين الأحزاب العربية وغيرها ساهم في بقاء الحال آنذاك كما كانت عليه. المساحة التي لم يستطع اليهود السيطرة عليها واستلمته الأردن مساحتها وهي البلدة القديمة داخل السور التي لا تزيد على كيلو متر مربع، أما الأحياء العربية التي ظلت خارج السور ٨٩ دونم «الشيخ جراح، ووادي الجوز، كلها كيلومتر مربع، اليوم ١٠٪ من مساحة الضفة الغربية، بعد عام ١٩٦٧ بدأت المعركة الحقيقة إذا نظرنا في البلدة القديمة، ففيها لهم حي قديم نشأ بسبب من التسامح الإسلامي، إذ أنشء بعد العهدة العمرية، ومساحة الأقصى ١٤٥ دونم وهناك حارة لليهود والأرمن والنصارى وهناك الحي الإسلامي. وبعد الاحتلال عام ١٩٦٧، سيطروا مجدداً على الحي اليهودي وهجروا اللاجئين الذين كانوا يقطنونه إلى عيناتا ووسعوه ليبلغ حي الشرف وبعد وادي الجوز، والآن يسيطرون في داخل البلدة القديمة على حوالي ما يزيد على ١٠٠ شقة في قلب الأحياء المسيحية والمسلمة داخل القدس، بالإضافة إلى مخططات تطوير المدينة. باختصار إنهم يسعون لتهجير ما تبقى من بيت المقدس والمقدسيين يشكلون الآن نسبة ٣٥٪ من سكان القدس المحتلة.

أنيس صايغ: قامة لم تنحن... والموت وقوفاً

أحمد علي هلال

هكذا تكلم أنيس...

ثمة مآثر عالية.. في رحيلهم، هي أنهم يرحلون واقفين «لأن المرء يموت واقفاً وكأنه لا يموت، ولعله لا يموت». هكذا تتجلى مآثر رحيل مفكر ومناضل وإنسان بحجم د.أنيس صايغ، وبحجم عطاء استغرق ثلاثة أرباع القرن، لتتكشف مسيرة باذخة باختلافها وعمقها، ومفارقاتها الزمكانية، مسيرة وتجربة ثرية بمسعاها كما يقول سادنها الكبير: «تحرير فلسطين أولاً وأرض العرب كلها ثانياً، لإلغاء الكيان المغتصب وعودة الشعب المقتلع وتحرير الإنسان والأرض معاً».

لكن الكتابة كما العمل الثقافي كانت جبهته بامتياز، ليؤرخ ويبحث طويلاً، مسكوناً بهاجس المعرفة، بل لتصبح المعرفة بعد التحرير ركناً أساسياً في بنيان فلسطين الغد، والثقافة –بهذا المعنى- وكما أرادها أنيس صايغ، تحرر، والتحرير يثقف، وهدفهما معاً غنى حضاري

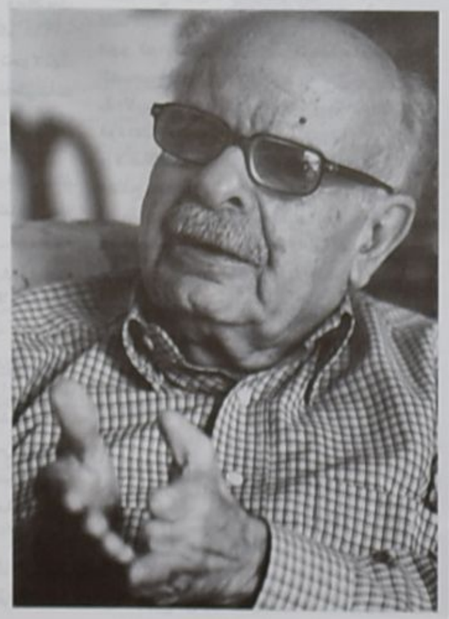

في ذلك الإطار/السياق المعرفي، انحصرت سيرة أنيس صايغ الفكرية ومسيرته العملية، في كفاءة أداء عبقري، على مستوى المنهج والأدوات والمواقف الواضحة والجسورة، لتتكشف لنا أبعاد شخصيته الاستثنائية، مثقف عضوي، يزاوج بين رؤيته العميقة ومستوى الواقع، ليقود مشروعاً كبيراً دشنه بوضع الموسوعة الفلسطينية كإحدى علاماته المتحققة، وفيها مارس فلسطينيته (وهي فلسطينية عربية تذوب فيها القطرية)، عبر القلم والبحث بالمقالة والمجلة والكتاب، إلى جانب الموسوعة، وكما يقول: «خارج ساحات السياسة وخنادق القتال، ولكن بملازمتها وموازاتها وملاصقتها، ويضيف: «مارست ثقافتي التي تتجسد في الكتابات والمؤسسات على أرض الموضوعية والتجرد والمنطق والصدقية، انطلاقا من وعي الواقع المحلي والمعاش وإدراكه، أرض المجابهة مع عدو شرس، اغتصبت فلسطين ويخطط لاغتصاب العالم العربي سيادةً وخيرات وآمالاً وطموحات ومعنويات، وكانت الثقافة بالتالي، وليدة الألم القومي وعلاجه الشافي في آن».

والحال أن رهان أنيس صايغ على الثقافة بأبعادها التنويرية، لم يكن رهاناً خاسراً، لكن الأثمان كان باهظة، رغم «قسوة الضربات وقوة المراقيل، ووطأة محاولات الإحباط، التي واكبت كفاحه الثقافي في أكثر من حقل وعلى مستويات عديدة، وهو ما ينفك مردداً أنه لم يخرج في حياته العملية التي تجاوزت الخمسين سنة عن دائرتين ضيقتين، عالمه الصغير الذي لم يغادره منذ أن تأهل –للحياة العملية- ، هو عالم القلم وعالم الوطن، هذان العالمان اللذان توحدا وأسقطا ثنائية الوسيلة والغاية، أو الأداة والهدف،

Digitized by Birzeit University Library

فكل منها –يقول صايغ– مطلب ومسعى في الوقت نفسه ويستحق الجهد نفسه.

أنيس صايغ مؤسسة في رجل

وتكاد تشكل معطيات بيئته وثقافته وعالمه الأسري، مهاداً ضرورياً ليتشكل شغفه بالكتب (المراجع والموسوعات والقواميس) التي اختزنتها مكتبة أبيه، المثقف اللاهوتي، الواسع الاطلاع، وبالتالي لينعكس كل ذلك في وعيه ولا وعيه، بتجليات إيمانه بأهمية الكلمة وحرية الرأي وضرورة الحوار والنقاش، حتى قيل عنه: «ولد والقلم بين أصابعه». هذا القلم الذي فاض بالمقالات الصحفية، وتأليف الكتب أو ترجمتها، وإعداد الموسوعات والقواميس وتحرير المجلات والزوايا الصحافية وإدارة مراكز البحوث والإشراف على ما يكتبه الآخرون. ذلك هو عالمه الذي يعتز به، وما بين ١٩٥٤ و١٩٥٩ كان عالم التأليف في حقل أثير لديه هو حقل التاريخ ومنه: «لبنان الطائفي- أول كتبه، ليتلوه كتابه الثاني «الأسطول الحربي الأموي في البحر المتوسط» وسوريا في الأدب المصري القديم وهكذا بدأت رحلة مديدة مع الكتب والموسوعات المبكرة «الموسوعة العربية الميسرة»، وغيرها من الموسوعات المتخصصة، لكن الحدث اللافت رغم كثافة السيرة الثقافية وعلاماتها الدالة، هو استلامه العمل في مركز الأبحاث الفلسطيني عام ١٩٦٦/٨/٧، ليؤلف ويحرر كتباً وسلاسل صدرت ضمن إطار منشورات المركز ١٩٦٦-١٩٧٦، مورخاً للقضية الفلسطينية وتحولاتها، قضايا عربية، شؤون عربية «فلسطينيات، شؤون فلسطينية، اليوميات الفلسطينية، وغيرها الكثير..

لقد ارتبط اسم أنيس صايغ بمركز الأبحاث، رغم معاناته، ومحاولات تجميد نشاطه عام ١٩٧٦ كان حلمه –آنذاك– أن يصدر موسوعة ومجلة، أن يؤسس ويضع القواعد والأرضية الصالحة ويترك للآخرين الانطلاق بالمشروع، ويفتح الباب أمام أصحاب الكفاءات ويشجع الواعدين في الكتابة والتحرير، وعدم الاستئثار بالمناصب، لكن اسمه راح يرتبط بصورة إضافية بالموسوعة الفلسطينية، تأسيسها وبناء منهجها، والوقوف من خلالها على جوانب هامة في حياة الشعب العربي الفلسطيني ورموزه ومؤسساته كما تاريخه بمحطاته ومفاصله..

وكثيراً ما كان أنيس صايغ يتساءل هل كان إقبال الأمة العربية على مركز الأبحاث واكبارها لعطائه، هو السبب في لفت نظر العدو الصهيوني إلى خطر المركز على كيانه المغتصب؟! أم أن استهداف هذا المركز بالذات بالضرب الإرهابي أربع مرات في عشر سنوات، هو الذي أحاط صورة المركز في أذهان الجماهير والهيئات العربية المعنية، الحكومية والمدنية، بهالة من الإكبار وصلت إلى تخيل غير معقول لقدرات المركز وإمكاناته،بعيداً عن الواقع والمعقول؟!

لا ريب أن كلا الافتراضين صحيح كما يرى د.أنيس صايغ، ويذهب مدللاً على السلوك الصهيوني إزاء المركز، ومحاولات الاعتداء عليه ١٩٧١ بشكل رسالة تحذير وإنذار، لتتطور في شكل غير مسبوق لإنهاء المركز عن طريق قتل مديره وإرهاب العاملين فيه. ما يعني محاولة اغتيال د.أنيس صايغ عن طريق رسالة ملغومة عام ١٩٧٢ التي ترك انفجارها آثاراً عميقة في أنحاء جسده لا سيما الأضرار الجسيمة لحواسه الرئيسة، ومع ذلك خيب ظن واعتقاد الإذاعة الصهيونية (بمقتله)، تلك التي راحت تبث خبر (مقتل) أنيس صايغ الذي «يتولى تدريب الإرهابيين الفلسطينيين في أوروبا على القتال» في فلسطين كان أنيس صايغ شهيداً حياً، طيلة استئنافه العمل أو سعيه للاستقالة، رغم الانتقادات التي استهدفت عمله بالموسوعة والمحاولات للتقليل من شأنها أو وضعها تحت رقابة مباشرة وصولاً لمنعها بذرائع مختلفة!

تعاقد مع الحياة ليموت واقفاً

لقد كان أنيس صايغ مناضلاً من طراز خاص فهو لم ينتظر المكافئة، وعنده أن النضال الصحيح لا ثمن له وذلك ما آمن به ومارسه في الأربعين سنة الأخيرة من حياته، وهو يبني قوة المثال بكلماته، التي يتماهى سلوكه الفكري والأخلاقي معها، لينتج صورة مثقف شاهد مسلح بضميره يقول: «على التاريخ أن يسجل أن هناك كثيرين أعطوا فلسطين بدون مقابل وأعطوها أكثر مما أخذوا، ومن الظلم أن تضيع تضحيات فلسطينيين وعرب في خضم الفضائح التي يتناقل الناس أخبارها عن فلسطين أخذوا من فلسطين الكثير ولم يعطوها إلا النزر اليسير كسبوا من البلد والقضية والنضال أموالاً وعقارات ومراكز ووظائف، كل ذلك قبل أن تتحرر فلسطين، ولست أدري ماذا سيحصل بعد التحرير، فالمسألة ليست توازناً بين ما أعطى المرء وبين ما نال. إنما هي مقارنة بين أفراد يعطون ويضحون بلا مقابل، وبين قيادات تبنى من عطاءات هؤلاء وتضحياته عروشاً لها، في شكل عمارات وحسابات مصرفية وشركات ومشاريع... ومراكز وألقاب، لا ريب أن التاريخ لن يرحم أبطال الاستغلال والفساد حتى ولو نسي أبطال الجهاد والعطاء والبناء الحقيقيين الصامتين والراضين دوماً».

فهل تعاقد أنيس صايغ مع الحياة ليموت واقفاً؟!

ذلك هو شأن الكبار، الاستثنائيون في زمن مختلف، لكن أنيس صايغ المقاوم على طريقته، يرى في نجاته ثلاث مرات من محاولات العدو وقتله مكسب، وقيمة مضافة إلى حياته ولسان حالة يقول لماذا لا أكرس هذه السنوات لهدف واحد فقط، أهب خلالها لمقاومة العدو «لحسابي الخاص»، لكنه المقاوم لاتفاقات الذل والعار، إذ خاض معركته على ثلاث جبهات: عقد الندوات واللقاءات الصحافية والإعلامية وتأليف كتاب ١٣ أيلول والدعوة إلى عقد المؤتمر الوطني الفلسطيني لحماية الميثاق الوطني الفلسطيني، الذي انعقد فعلاً في أواخر ١٩٩٨ في دمشق.

لقد أعاده كتاب ١٣ أيلول إلى مناخ التأليف بعد انقطاع اضطره إليه التزامه بانجاز الموسوعة الفلسطينية، ليحرر كتابان: المثقف العربي همومه وعطاؤه، فسطنطين زريق ٦٥ عاماً من العطاء وليعقبها ثلاثة كتيبات في موضوعات من صميم الشأن الفلسطيني العام أولهما ملف الإرهاب الصهيوني كبحث أكاديمي في فلسفة الإرهاب في الحركة الصهيونية، وثانيهما الوصايا العشر للحركة الصهيونية تحليل للفكر الصهيوني في ثوابته الراسخة التي لا تتبدل. والثالث بعنوان (نصف قرن من الأوهام) حذر فيه من الركون إلى وعود العدو أحابيله.

من الكلمة... إلى الوطن

أنيس صايغ لم يتخل عن دوره كناقد سياسي بارع في مقالاته التي تفضح المثقف الفلسطيني والعربي الساقط، بل ظهر أشد تمسكاً بالمبادئ (والثابت على الرأي أصبح بضاعة نادرة) يرحل مكللاً بالأوسمة الوطنية، إن أكاليل الغار من حق المنتصرين فقط، العالدين فعلاً إلى المنابت التي حرروها ليمارسوا فيها حرياتهم هكذا تكلم أنيس صايغ وهو يرحل إلى طبريا وعلى الطريق إلى طبريا ومن أجلها فلسطين حقيقته العربية والكونية والثقافية والحضارية، لتكتمل مسيرته من الكلمة إلى الوطن، وبإرثه الثري المحفز على ثقافة مقاومة، ثقافة وعي حضاري بالصراع وأفاقه، وزخم معرفة توسس للأجيال وتبني ذاكرة وطنية وقومية عصية على المحو أو النسيان..

أنيس صايغ ... سيرة وإنجازات

ولد أنيس صايغ في ١٩٣١/١١/٣ في طبريا. بدأ دراسته بمدينته وأنهى الثانوية سنة ١٩٤٩ في مدرسة الفنون الإنجيلية في صيدا التي انتقل إليها بعد الاحتلال الصهيوني لمدينة طبريا. نال شهادة البكالوريوس في العلوم السياسية والتاريخ سنة ١٩٥٣ من الجامعة الأمريكية في بيروت.

حصل على الدكتوراه من جامعة كامبردج في العلوم السياسية والتاريخ العربي، وعين في جامعة كامبردج أستاذاً في دائرة الأبحاث الشرقية، فمديراً لإدارة القاموس الإنجليزي العربي.

أشرف على تحرير الزاوية الثقافية والتاريخية في جريدة النهار، عمل مستشاراً للمنظمة العالمية لحرية الثقافة.

عين مديراً عاماً لمركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت، فرئيساً لقسم الدراسات الفلسطينية في القاهرة.

حقق إنجازات هامة وكبيرة كإنشاء مكتبة ضخمة، وإصدار اليوميات الفلسطينية

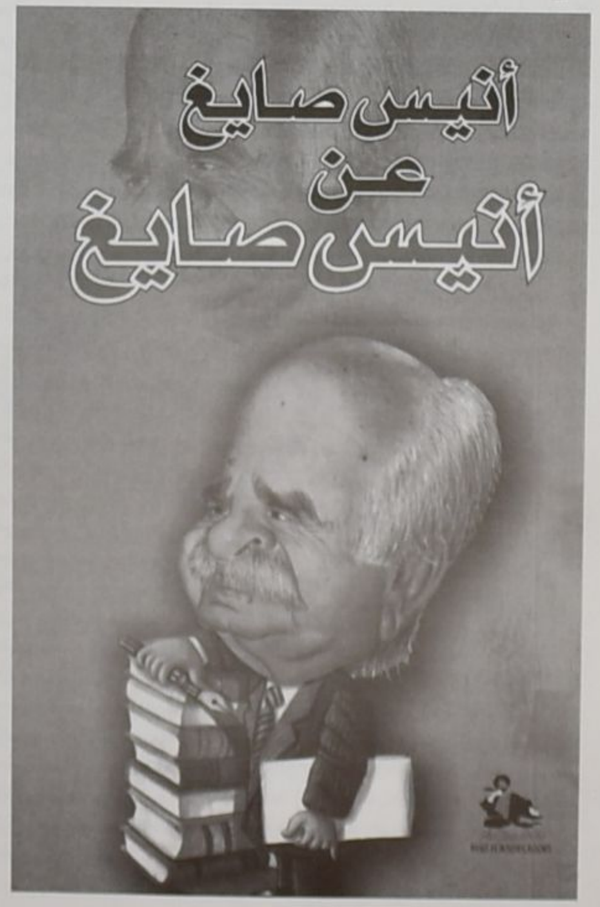

ومجلة شؤون فلسطينية، نشرة رصد إذاعة (إسرائيل)، إنشاء أرشيف كامل يحتوي على كافة الأمور التي تعني الباحثين.

عمل عميداً لمعهد البحوث والدراسات العربية التابعة للجامعة العربية.

أشرف على إصدار مجلة المستقبل العربي وقضايا عربية، كما عمل مستشاراً لجريدة القبس الكويتية، فأنشأ لها مركزاً للمعلومات والتوثيق.

وهو صاحب فكرة وضع الموسوعة الفلسطينية.

عين عام ١٩٨٠ في جامعة الدول العربية كمستشار للأمين العام، وكرئيس لوحدة مجلات الجامعة.

تابع بدأب من خلال الدراسات الموثقة أكاديمياً قضايا العدو إلى جانب المؤلفات التي تتناول موضوعات القضية الفلسطينية؛ فكان أن حاولت "إسرائيل اغتياله أكثر من مرة، وأبرزها كانت الرسالة المفخخة التي بترت أصابع يده وأثرت في نظره وسمعه. كما استهدفت مركز الأبحاث، بعدة اعتداءات إرهابية، كان آخرها سرقة أرشيف ومكتبة المركز في بيروت عام ١٩٨٢.

الجوائز:

- وسام الاستحقاق السوري بمناسبة صدور مذكراته: أنيس صايغ عن أنيس صايغ، ٢٠٠٦.
- درع معرض المعارف للكتاب العربي والدولي، في بيروت، تقديراً لعطائه الفكري والثقافي، والتزامه بالقضايا الوطنيّة والقوميّة، وما رفد به ثقافة المقاومة.
- سيف فلسطين رمزاً للصمود، من الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين في دمشق ٢٠٠٦.

المؤلفات:

١. لبنان الطائفي، بيروت ١٩٥٥. دار الصراع الفكري، بيروت، ١٩٥٧.
٢. الأسطول الحربي الأموي في المتوسط، بيروت، ١٩٥٦.
٣. جدار العار، بيروت، ١٩٥٧.
٤. سوريا في الأدب المصري القديم، بيروت، ١٩٥٨.
٥. الفكرة العربية في مصر، بيروت، ١٩٥٩.
٦. تطور المفهوم القومي عند العرب، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦١.
٧. في مفهوم الزعامة السياسية: من فيصل الأول إلى جمال عبد الناصر، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٥.
٨. الهاشميون والثورة العربية الكبرى، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٦.
٩. الهاشميون وقضية فلسطين، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٦.
١٠. فلسطين والقومية العربية، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت، ١٩٦٧.
١١. بلدانية فلسطين المحتلة، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت، ١٩٦٧.
١٢. المستعمرات "الإسرائيلية" منذ ٦٧، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت، ١٩٦٩.
١٣. ميزان القوى العسكري بين العرب و"إسرائيل"، مركز

Digitized by Birzeit University Library

الأبحاث الفلسطيني، بيروت، ١٩٦٩.
١٤. الجهل بالقضية الفلسطينية، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت، ١٩٧٠.
١٥. رجال الساسة "الإسرائيليون"، بيروت، ١٩٧٠.
١٦. أيلول الخطأ والصواب - ذكريات العام ٢٠٠٠، دار بيسان، بيروت، ١٩٩٤.
١٧. المثقف العربي.. همومه وعطاؤه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٥.
١٨. قسطنطين زريق: ٦٥ عاماً من العطاء (تحرير) دار بيسان، بيروت، ١٩٩٦.
١٩. الوصايا العشر للحركة الصهيونية، مركز الإسراء للدراسات، بيروت، ١٩٩٨.
٢٠. أنيس صايغ عن أنيس صايغ، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ٢٠٠٦.
٢١. نصف قرن من الأوهام.

ترجمة:

١. فن الصحافة، بيروت، ١٩٥٨.
٢. قمح الشتاء، بيروت، ١٩٥٨.
٣. مقالات في القضية الفلسطينية، بيروت، ١٩٥٦.
٤. المؤسسات والنظم الأمريكية، بيروت، ١٩٦٤.

مشاركة في تحرير:

١. الموسوعة العربية الميسرة، مؤسسة فرانكلين، القاهرة، ١٩٦٥.
٢. قاموس الكتاب المقدس، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت، ١٩٦٧.
٣. دراسات فلسطينية (بالألمانية)، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت، ١٩٦٧.
٤. يوميات هرتزل، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت، ١٩٦٧.
٥. من الفكر الصهيوني، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت، ١٩٦٨.
٦. فلسطينيات ج ١، ج ٢، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت، سنة ١٩٦٨- ١٩٦٩.
٧. الفكرة الصهيونية- النصوص الأساسية، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت، ١٩٧٠.
٨. العمليات الفدائية خارج فلسطين المحتلة، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت، ١٩٧٠.

رئاسة تحرير:

١. مجلة العلية، بيروت، ١٩٥٦- ١٩٥٩.
٢. سلسلة اليوميات الفلسطينية، من المجلد ٢- ١١، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت، ١٩٦٦- ١٩٧٠.

في ذكرى الانطلاقة
إمكانية التفاؤل.... لمثقف متشائم

جمال الدين الخضور

تمرُّ ذكرى انطلاقة الثورة الفلسطينية المسلّحة في واقع مختلف تماماً، عن الهدف المرتجى حين انطلاقتها، وهذا المنظور العام للقراءة الشاملة. فعندما أطلقت الرصاصات الأولى في مطلع كانون الثاني ١٩٦٥، لم تكن الضفة والقطاع تحت سيطرة الاحتلال الصهيوني. وهذا يعني ومن مقدمة الكلام المُساق في الحوار أن هدف الثورة المسلّحة كان تحرير فلسطين المحتلّة عام ١٩٤٨، وبالتالي، وحتى لا يكون الحوار المتلعثم بأهداف الثورة موقع جدل عقيم يمكن أيّ قارئ أن يستنتج أنّ التغييرات الجذرية والمحورية بأهداف الثورة وانطلاقتها، والتي دفعت لاحقاً لتكون في الموقع المحوري والإستراتيجي كانت انقلاباً جذرياً في الهدف الرئيس، والذي حملت مهمته «فتح» تحديداً، وعبر قوات العاصفة، وهو تحرير فلسطين التي كانت قد احتلت عام ١٩٤٨، أو ذلك القسم منها والذي بات يُعرف بالمتداول الحالي فلسطين ٤٨. لتمييزها عن الشطر الآخر من فلسطين الذي احتُلّ أثناء حرب عام ١٩٦٧، والشاغل لوسائل الإعلام المعاصرة والمعروف بالضفة الغربية وقطاع غزة. حتى بعد تلك الحرب لم تتقدم مرحلية النضال العسكري بشكل خاص والفلسطيني والعربي بشكل عام، ومرحلته على الهدف الإستراتيجي الأساسي الذي انطلقت الثورة لتحقيقه. بل إن الكثيرين نظروا حينها لمقولات «الانفلاش الزيتي الصهيوني، على الجغرافية الواسعة، وقدوم العدو إلى مواقع الفدائيين بدلاً من البحث عن وسائل ووسائط وطرق للوصول إلى مواقعه داخل كيانه العسكري. والآن وبعد أربعة وأربعين عاماً يبدو الهدف الرئيس الذي انطلقت من أجله الثورة أكثر إلحاحاً وجذرية، وهو تحرير فلسطين من البحر إلى النهر، ومن الناقورة إلى رفح، وعلينا أن نقرأ المعطيات الميدانية الفلسطينية والعربية والإقليمية والدولية بتفكيك عناصرها وتحليل وقائعها موضوعياً، وليس كما تبدو للقارئ السطحي أو كما يرسمها الإعلام:

فلسطينياً: هناك معركتان أساسيتان حددتا طبيعة العدو الصهيوني، وآلية الانتصار عليه، وهما معركة الكرامة عام ١٩٦٨، ومعركة انتصار غزة العام الماضي، وبينهما الكثير من المعارك والعمليات الاستشهادية، التي نقلت الواقع من التحليل النظري في أدبيات الكفاح المسلح إلى الواقع الميداني المعيش. والذي أكد بالضرورة أن عدونا الصهيوني العنصري قابل للهزيمة والاندحار من الجغرافية والتاريخ والسياسة والأحلام.

كذلك كانت العلاقة في واقع القضية المركزية للنضال العربي، فإن كل ما حدث من تشويه، وانكشاف لدور النظام العربي الرسمي ومن منعطفات كامب ديفيدية ووادي عرباوية وأوسلوية وغيرها، عادت القضية ببعدها التحرري العام والتحريري الشامل لكل الأرض لتشكل المحور المركزي في القضية العربية، وها هي تعود تدريجياً بفصائلها المقاتلة المقاومة لتشكل الطلائع الحقيقية للتحرير. وما يغذي هذه الحقيقة ويدعم أسسها انكشاف البنية الحقيقية للعدو الصهيوني، من حيث عنصريته القائمة على الوهم الديني النازي، ودوره الوظيفي كذراع مرتبط عضوياً وموضوعياً بالمركزة الإمبريالية العولمية المتوحشة.

"سعت المركزة العولمية المتوحشة خلال ثلاثة عقود من الزمن إلى تفتيت الوطن العربي إلى دويلات ميكرو سايكسبيكوية على أسس طائفية أو مذهبية إثنية أو عشائرية أو قبلية، بحيث يصبح التكوين الجديد الذي كان مخططاً له مع ميلاد الشرق الأوسط الجديد، كيانات ودويلات قائمة على تلك الأسس تتصارع فيما بينها في حروب إلغائية دائمة ومستمرة، ليظهر الكيان الصهيوني حينها واحة ديمقراطية قوية مركزية بين دويلات منهكة. لكن ومع سقوط المشروع الصهيو- أمريكي بانتصار المقاومة اللبنانية وعناصر دعمها، ارتد الكيان الصهيوني عن ادعاءاته السابقة وسقط القناع الأخير، وقدم نفسه الدولة اليهودية، الوحيدة في العالم القائمة على تأسيس عنصري ديني"

بذلك أيضاً قُدمت المقاومة الفلسطينية كطليعة أولى في التصدي لهذا المشروع النازي العنصري، وقُدمت القضية الفلسطينية من جديد القضية المركزية للنضال والحراك العربي عموماً.

وإذا كانت التوسفات والإنزياحات الهامة التي ظهرت على السطح في العمل المقاوم وخصوصاً بعد أوسلو، قد غطت على التغييرات النوعية في العمق، إلا أن تلك المظاهر في مسيرة الثورة الفلسطينية لم تكن جديدة، فقد ظهرت بوادرها في حرب أيلول الأسود ١٩٧٠، وفي حرب الأحراش حزيران عام ١٩٧١، وفي سبعينات القرن الماضي في لبنان (العامل الفلسطيني في الحرب الأهلية، وفي اجتياح عام ١٩٧٨) وفي اجتياح عام ١٩٨٢، ففي كل تلك المراحل والانعطافات التاريخية في مسيرة المقاومة الفلسطينية المسلحة كانت هناك فرق للدبكة على الطريقة الأوسلوية، وكان هناك دايتون واحد، ودايتون رقم ٢ وحتى الرقم ١٠، وكانت هناك جيوش من الدحلانيين وأصحاب نظريات المقاومة بالبكاء (إذا حسنت نواياهم(، والمطبّعين، والمطبّعين، والجواسيس والعملاء، والتعويين والمستهترين... لكن المقاومة المسلحة استمرت وحققت تحرير غزة بداية، وانتصار غزة لاحقاً، وكذلك ستفعل بكل فلسطين.

فالشروط والظروف الموضوعية القائمة حالياً أسقطت مقولة الصراع الفلسطيني- الصهيوني، وعادت مقولة الصراع العربي- الصهيوني إلى المقدم، واتضحت أنساق الصراع على المستويين الشعبي والرسمي، بنفس الوقت الذي عادت فيه فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ لتنخرط بالصراع بكل مستوياته من جديد.

وإذا كان ما قيل يتنافى مع تفاؤل الوعي، فلا بد أن نقول أنه يتناسق تماماً ويتسق مع مقولة تفاؤل الإرادة. وهو الملموس شعبياً على المستوى العربي عموماً والفلسطيني خصوصاً.

عربياً: لعبت المقاومة العربية في لبنان الدور الحاسم والتاريخي في هزيمة المشروع الصهيوني على المستوى الإستراتيجي، وكان لانتصارها التاريخي في عامي ٢٠٠٠، و٢٠٠٦ الدور الهام في كسر المشروع الأمريكو- صهيوني. ولم يكن دور تلك المقاومة المحتلة ميدانياً بشكل رئيس بالمقاومة المسلحة لحزب الله المظفر، معزولاً عن الامتداد الشعبي والثقافي والأخلاقي على كل الرقعة العربية، بل شكل رأس الحربة العاملة ضمن حاضنة هائلة وواسعة وشاسعة من الدعم الغربي

مادياً ومعنوياً وأخلاقياً وأدبياً وثقافياً، بل وبالدموع أيضاً. وأعاد حزب الله ومن خلال مقاومته المنحى العام لواقع المقاومة العربية، ووضع صياغة جديدة لمفهوم الصراع استكمل من خلالها ما بدأته المقاومة الفلسطينية قبل أربعين عاماً. فلقد فرمل اندفاع النظام العربي الرسمي تجاه التسوية التصفوية، وشكل ارتكازاً هاماً ومحورياً لأطياف المقاومة بتعدد ألوانها ومقوماتها، فلقد أنهى وإلى الأبد مقولة المجال الحيوي الصهيوني، وحطم مقولة «إسرائيل العظمى»، وخلخل الأنساق الواهية الأيديولوجية والسياسية التي يقوم عليها الكيان الصهيوني وكل ذلك تم عبر الحاضنة الشعبية الممتدة من البحرين وحتى موريتانيا بل وأبعد من ذلك.

إقليمياً: لقد كان الكيان الصهيوني يعتمد في صيرورة استمراره إقليمياً على ثلاث كتل أساسية، إيران الشاه، وتركيا، وأثيوبيا. بالنسبة للأولى، ومنذ سقوط الشاه «شرطي الخليج» أعلنت اصطفافها الكامل والمطلق مع الثوار المقاومين في فلسطين وغيرها، وأخذت تركيا منذ سنوات منحىً جديداً في قراءتها للصراع العربي الصهيوني، وبدا مساره واضحاً في السنة الأخيرة، أما الثالثة (أثيوبيا) فهي مشغولة بداخلها، ولم تعد قادرة حتى على الأذين.

لذلك أخذ الخطاب الصهيوني منحىً ذهانياً مرضياً سريرياً وخبرياً، واتجهت الجمعجة نحو الانكماش على يهودية تلمودية توراتية وهمية كاذبة منافقة مختلقة بفيضة

Digitized by Birzeit University Library

عنصرية، عاجزة حتى عن ارتداء ثيابها الداخلية. وأخذ الحراك الدبلوماسي الصهيوني شكلاً كاريكاتيرياً مع بعض المطبعين الأوسلويين والكامب ديفيديين فقط، ليتضخم ليبرمان وليصبح بحجم الكيان الصهيوني، وليتقزم الكيان الصهيوني ويصبح بحجم ليبرمان.وهذا بداية كاف ليعجز الكيان الصهيوني عن ارتداء ملابس داخلية.

دولياً: إذا كان الخط الأوسلوي وأشباهه ومريدوه قد ارتدوا (إذا حسن الظن بهم) بعد انهيار المجتمع «الاشتراكي» بنموذجه السوفيتي واستعجلوا الارتهان للعدو «الأمريكي والصهيوني»، فقد أتت الأحداث اللاحقة، ابتداءً من الانتفاضة الأولى والثانية وحتى انتصار غزة، لتعيد تقييم الشرط الذاتي الواسع للمقاومة المسلحة بطريقة جديدة، هذا أولاً، أما ثانياً فقد جاء التعاضد والتضامن والتوحد بانتصار المقاومة اللبنانية ليعيد إنتاج الشرط الذاتي بطريقة جديدة، تعيد إنتاج العامل على كل الساحة العربية باعتباره عاملاً واحداً ذاتياً مقاوماً.

أما ثالثاً، فقد اهتزت أركان الخطاب العربي المساوم الراقص، وهو الآن تحديداً يعد خطاب هزيمته. أما رابعاً، فإن الأزمة المالية والاقتصادية والاجتماعية التي تعصف بالوحش الإمبريالي بتعدد مراكزه وأطرافه، ستعيد إنتاج الفكر الثوري الاشتراكي على مستوى العالم بطريقة جديدة. أن تلك المراكز لم تعد قادرة على إدارة أزماتها والخروج منها، حتى الحروب التي تشنها منذ عقدين من الزمن لن تشكل لها مخرجاً، فكيف إذا خاضت حروباً جديدة، هي أعجز من أن تقدم عليها في المرحلة المنظورة القادمة.

كل ذلك دفع بالموقع العضوي الرابط بين الكيان الصهيوني والمركزة الأمريكية المتوحشة إلى السفور الكامل والفاضح في معنى وجود الكيان وعلاقته بالوحش الأمريكي. حتى الآن الوثائق التي كشف عنها في العقد الأخير أوضحت ما كانت تقدمه قوى الثورة العربية عن ضرورة وجود الكيان الصهيوني لحماية تدفق النفط إلى المراكز الإمبريالية، خصوصاً عندما اعتقدت المراكز الإمبريالية أن الدب السوفيتي الأحمر سيمد قدميه باتجاه المياه الدافئة، وخصوصاً بعد انتصاره في الحرب العالمية الثانية على النازية، فكان قرار إنشاء الكيان، وإسقاط حكومة مصدق إيران والسعي الحثيث لخنق التجارب القومية والاشتراكية والثورية واليسارية في المنطقة العربية.

يضاف إلى ذلك ما يحدث من اجتياح للحركة البوليفارية الثورية لأمريكا الجنوبية (اللاتينية؟!) والتي فتحت النوافذ من جديد لأحرار العالم كي يعيدوا صياغة خطابهم التحرري التحريري، لا على طريقة الحركة الطلابية في أوروبا عام ١٩٦٨-أيار-الفصامية الهزيلة، بل عن طريق الفعل الميداني، وصندوق الانتخابات الديمقراطي بمعانيه المتعددة، والتي أهمها مواجهة الوحش الأمريكي، والحد الأدنى من العدالة الاجتماعية، ولن يقف ذلك المد إلا بعد أن ينجز مشروعه كاملاً.

إذن، فقد الكيان الصهيوني ارتكازاته الإقليمية الثلاثة، وامتداده التاريخي المعروف في أمريكا الجنوبية والوسطى، وأوروبا العجوز تعاني من «الزيهايمر» وداء الخرف الشيخوخي، وأوروبا الشرقية وإلى الأيديولوجية، وبالتالي هي عاجزة أن تكون مركزاً إمبريالياً على الطريقة الأمريكية، وإلا ستفقد عينييها الاثنتين.

أما الصين، فهي بدين السوق الاجتماعي المتمركز قراره الإداري في هرم السلطة، لن تدخل كقطب بديل داعم للكيان الصهيوني، فالصراع السوقي مع الولايات المتحدة الأمريكية وأمام أزمة هذه الأخيرة والمستعصية طبعاً ستندفع باتجاه علاقات أكثر متانة مع أمريكا الجنوبية وأفريقيا وآسيا الوسطى.

هذه لمحة سريعة وشاملة وخاطفة ومختصرة عن الواقع القائم الآن، وذكرى انطلاقة الثورة الفلسطينية تعيد الأفكار إلى موقع النقد والانطلاق ما العمل؟

سؤال تعيشه الثورات كلها، وهو يومي وساعي وآني، علينا أن نقرأ الواقع كما هو وعلى كل مستوياته، وبداية لا بد من الحوار، ولكن أي حوار؟

على كل القوى والفصائل (وفتح في القلب منها) أن تنبذ المطبّعين والمطبّعين والمشتبه بهم والذي شُبّه لهم، والقارئين في كتاب دايتون، وأوسلو،وكامب ديفيد، ووادي عربة، والذين يتنازلون عن شبر واحد من فلسطين التاريخية أو يعترفون بوجود صهيوني واحد على أرضها... وأن يكون لأبناء فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨، دورها في الحوار، والمثقفين والمستقلين والمتقاعدين من الفصائل، ولأبناء الشتات بما يتناسب مع أعدادهم ومواقع انتشارهم، وصولاً إلى مؤتمر وطني عام يعيد الانطلاقة إلى مسارها الحقيقي اعتماد العمل الفدائي والمقاومة المسلحة إستراتيجية أساسية ومحورية، تعيد ربط الكفاح الفلسطيني بالنضال العربي.

كل ذلك ليس بعيداً عن شعبنا الفلسطيني العظيم مدعوماً بشقيقه العربي وبأحرار العالم الذين يعيدون تشكيله الآن.

في ذكرى انطلاقة الثورة المسلحة لتحرير كل فلسطين ألا يحق أن نتفاءل قليلاً ولو بالإرادة، مهما كان الإعلام متشائماً.

لقطات من حفل إيقاد شعلة الثورة

Digitized by Birzeit University Library

حتى نلتقي

في الذكرى الخامسة والأربعين لانطلاقة فتح، انطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة.

ثورة حتى النصر

في رحاب الذكرى المتجددة والمتصلة بتاريخ فاعل، تنفتح الذاكرة الوطنية الفلسطينية على محطات وافرة مضيئة، تؤلف نسغ ذلك التاريخ، إنها ذكرى انطلاقة فتح انطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة، طلقة الوعي في فضاءات مغايرة، فتح الثوابت والأهداف والمنطلقات، والمسار الكفاحي الطويل، تعانق ذاكرتنا في لحظة فلسطينية فارقة لنستولد منها السياق والمعنى، نحفر في ذاكرة شاهدة لنقف على معراج خيط الدم، وهو يرسم خريطتنا الجديدة، ولنقف على ما يؤلف نسيج وجودنا: مقاومة، لا تبدل أسمائها، ولا تغيّر بوصلة الشهداء إلى وطن ينهض الآن من جراح مزمنة، وفواصل لا تعنى بالمعنى، تنفتح الذكرى على ذاكرة جديدة لا يثلمها حصار، لا يُبدّدها عدوان مفتوح على الأرض والإنسان، عام على العدوان وغزة تنتصر الآن لبوصلة الشهداء والأسرى، تجمع اسم فتح لبهاء القوافل الأولى، بهاء حقيقة أرضنا وهويتنا، وكلمتنا الأولى على هذه الأرض التي تستحق الحياة، انطلاقة فتح بمحطاتها وبتجدد انطلاقتها في ١٩٨٣/٥/٩، تصحيح مسار، وبيان رؤيا، انتصار لرؤى الشهداء- الشهود وقوافلهم المديدة..

ذكرى الانطلاقة وهي تعبر من الضفاف.. إلى الضفاف ما زالت تقرع بشدة جدران الخزان، لتصبح كلمة المقاومة هي العليا...

نستعيد الذكرى في راهننا الكفاحي لنتجذر في ثقافة المقاومة وثقافة العودة، عهد ووعد على الاستمرار على ذات الطريق الذي لا يرى سوى فلسطين أو فلسطين، أو النار جيلا بعد جيل.

وانطلاقة فتح، ذكرى انطلاقة رصاصتها الأولى، شوط صياغة المصير الفلسطيني، وذكرى فرسانها الأوائل الذين دافعوا عن سيرورة الحلم الفلسطيني، عن فكرة فلسطين، وسؤال حريتها وتحررها وتحريرها وانعتاقها، بل إن بلاغة رصاصة الفاتح من كانون الثاني، هي أنها استولدت آلاف النهارات العالية.

إنها لولادة متجددة، هناك في نسغ السنبلة، وفي وردة قهرت سياج الوقت والأزمنة وظلال الغزاة العابرين، في صرخة وليد لعله الأثر الباقي من (فناء) عائلة، وسعي الغزاة لمحو الذاكرة، في فوج مدرسي يحمل الأحلام آنية، والآن تنبض ذاكرتنا، كالأرض، لحيابها، ولأجلها "لعل ضوءاً أولا يفضي إلى الضوء الأخير"، ذاكرة تشيد صورتنا بكل فخار الجلنار، ذاكرة دم يورق الآن مقاومة، بيارق تشهد إيقاع السرّ الفلسطيني، في التكوين، وفي التحول، وفي تأصيل سلالة نسب المقاومة... إنها لحظتنا المفتوحة على مطلق السر: فلسطين، حضارة التاريخ والشهداء، إبداع الهوية، وإبداع وعي تاريخي بأن المسار متصل سيحفر وإن ضاق المساء، في صخر الوقت والأسئلة والأزمنة.

ننحني لذكرى تبرق في عيوننا، في كفها حجر... ودم تجلى في رابعة النهار آلاف الحيوات، دم سال بين سنابل الأغوار، على سهول الجرمق، وبطاح النقب رفعته الشمس نشيدا للشعب لا يموت، ولحق لا يموت..

أحمد علي هلال

Digitized by Birzeit University Library